معركة أجنادين

متى وقعت ؟ وأين وقعت ؟

تأليف

طه الهاشمي

جمع وترتيب :

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي



فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي

المجلد الثاني

(١٣٧١هـ - ١٩٥٢م)

معركة أجنادين

متى وقعت ؟

وأين وقعت ؟(*)

كنا أشرنا في مقالنا في « المجلة العسكرية » عن قيادة خالد بن الوليد في حروب الردة ، الى ما يعانيه الباحث من مشقة وصعوبة في تمحيص الوقائع التى حدثت في فتوحات صدر الاسلام ، وذكرنا باختصار الغموض الوارد في كتب التأريخ الباحثة عن تلك الفتوحات سواء أكان في تثبيت تأريخ الوقائع أم في تعيين مكان وقوعها أم في كيفية وقوعها . ومما يدل على هذا الغموض ما كتبه المؤرخون القدماء عن (معركة أجنادين) . ويتضح لمن يقرأ كتب التأريخ أن المؤرخين القدماء لم يتفقوا على تأريخ وقوع معركة أجنادين ؟ فالبلاذري واليعقوبي مثلا ذكرا أنها وقعت سنة ١٣ هـ ، على حين ذكرها الطبري في حوادث سنة ١٥ هـ . واستند ابن الأثير الى ما ذكره الطبري ، فجعلها من وقائع السنة المذكورة . أما ابن خلدون فقد ذكر أنها وقعت في سنة خمس عشرة الهجرية . وأما ابن عساكر الدمشقي فيستند الى رواية شيخه أبي القاسم ابن السمرقندي التي تنتهي الى أبي حذيفة اسحاق بن بشر القرشي ، ويجعل معركة أجنادين من وقائع سنة ١٣ هـ .

والغريب في الأمر أن الطبري وابن الأثير أشارا الى وقوع الحادثة ضمن وقائع السنة الثالثة عشرة الهجرية والسنة الخامسة عشرة الهجرية .

وللتثبت في تأريخ وقوع معركة أجنادين خطورة من حيث تفنيدها للروايات الزاعمة أن أول عمل قام به « عمر » بعد استخلافه عزله لخالد بن الوليد ، ونصبه

---

(١) لقد اعتمدنا في كتابة مقالنا هذا على البحوث القيمة التي نشرها المستشرق الطلياني « لئونه كيتاني Leone Caetani في كتابه « حوليات الاسلام Annali Dell, Islam » (الجزء الأول من المجلد الثالث ، من الصفحة ١٣ الى الصفحة ٧٣)

أورد كيتاني في بحوثه تلك جميع الروايات الاسلامية والأجنبية الباحثة عن « معركة أجنادين » ، ومحصها ووازن بينها ، واستنبط منها نتائج رائعة دلت على براعته في تمحيص وقائع التأريخ الاسلامي في منتصف القرن الهجري الأول .

أبا عبيدة بن الجراح محله قائدا عاما على الجيوش العربية فى بلاد الشام • والواقع أنه ان ثبت أن المعركة وقعت سنة ١٣ الهجرية ، وهى السنة التى تولى فيها عمر الخلافة ، فتصبح الروايات الذاكرة لعزل عمر لخالد حين استخلافه لأبى بكر غير صحيحة ؛ لأن الروايات كادت تجمع على أن عمر عزل خالدا قبيل معركة اليرموك التى ان ثبت أن معركة أجنادين جرت فى سنة ١٣ هـ ، فينبغى أن تكون وقعت (معركة اليرموك) فى سنة ١٥ هـ ؛ لأنه لايصح أن تقع المعركتان فى وقت واحد ، وهما على ما يظهر وقعتان حاسمتان •

ان للتثبت فى تأريخ وقوع معركة أجنادين كما ذكرنا سابقا أهمية خاصة تتعلق بعزل خالد بن الوليد • فان وقع العزل قبل معركة اليرموك فانه يكون عمر قد أجل عزل خالد الى سنة ١٥ هـ ، على الرغم من أنه كان ينتقد أعماله فى خلافة أبى بكر ، وحاول كثيرا أن يحمله على عزله • وهو مما يدل على كياسة عمر وبعد نظره كما فصلنا خبره فى كتابنا (حكومة عمر)[١] •

متى وقعت معركة أجنادين ؟

ولأجل أن نعرف اليوم الذى وقعت فيه معركة أجنادين ينبغى لنا أن نمحص الروايات الذاكرة لها ، ونوازن بين الروايات التى زعمت أن المعركة جرت سنة ١٥ هـ ، والروايات الأخرى التى ذكرت أنها نشبت فى سنة ١٣ هـ • ومن الطبيعى أننا سنفضل روايات الاخباريين القدماء على الروايات المتأخرة •

ومن الحقيقة أن أصحاب الروايات القديمة ، منهم من عاشوا فى نهاية القرن الهجرى الأول ، ومنهم من عاشوا فى القرن الهجرى الثانى ، ومعنى ذلك أنهم ذكروا رواياتهم بعد وقوع المعركة بأكثر من نصف قرن ، فى أقل تقدير ، فانهم لم يشهدوا الوقائع ، وانما رووها عمن تقدمهم من الرواة اسنادا ، حتى تنتهى الرواية بمن شهد الوقعة ، أو سمعها ممن شهدها • فالغموض الذى نشاهده فى حوادث فتوحات صدر الاسلام ، والاختلاف فى تأريخ وقوعها ، وكيفية وقوعها ، ناشىء من أن الأخباريين الذين سجلوا أخبار الفتوح ، لم يشهدوا الوقائع ؛ وانما ثبتوها بعد حدوثها بمدة غير قليلة • وفى الأمر غموض آخر ناشىء من الأخطاء التى ارتكبها النساخ ، كاهمالهم لنقطة ، أو وضعهم نقطة فى غير محلها • ولا يخفى ما لهذا الاهمال من تأثير سىء فى صحة الأعلام • أما الروايات التى شرحت معركة أجنادين ، فقد ورد ذكرها

(١) قررت لجنة الترجمة والتأليف والنشر المصرية طبعه بنفقتها ، ولما يتم طبعه •

في أقدم كتب الفتوح ، وهي : كتاب فتوح البلدان للبلاذري ، وتأريخ ابن واضح اليعقوبي ، وتأريخ الطبري • أما الكتب التأريخية الأخرى التي نشرت من بعد ، فهي اما كررت ما جاء في الكتب المتقدمة بلا اسناد ، واما استندت الى روايات أخرى بالاسناد روى أكثرها الأخباريون الذين جاء ذكرهم في الكتب المتقدمة المذكورة •

ولا بد من تفضيل رواية على رواية أخرى ، فالروايات المدنية مثلا تفضل على الروايات العراقية حين البحث في وقائع فتوح الشام ؛ لأن أهل الحجاز شاركوا فيها ؛ ولهذا كان من الطبيعي أن تفضل روايات ابن اسحق والواقدي على روايات سيف بن عمر مثلا •

والآن فلنبدأ بذكر الروايات العربية مقدمين الأخباريين على حسب تأريخ وفياتهم :

(١) روايات محمد بن اسحاق المتوفى سنة ١٥١ هـ • جاءت هذه الروايات في كتاب الطبري في وقائع السنة ١٣ الهجرية عند ذكره سفر خالد بن الوليد الى الشام مددا لمن فيها من المسلمين ، ونذكرها كما يلي : « ثم سار (خالد) حتى نزل على قناة بصرى ، وعليها أبو عبيدة بن الجراح وشرحبيل بن حسنة ويزيد بن أبي سفيان ، فاجتمعوا عليها ، فرابطوها حتى صالحت بصرى على الجزية ، وفتحها الله على المسلمين فكانت أول مدينة من مدائن الشام ••• » الى أن يقول : « ثم ساروا جميعا الى فلسطين مددا لعمرو بن العاص ، وعمرو مقيم بالعربات من غور فلسطين ، وسمعت الروم بهم فانكشفوا عن جلق أجنادين وعليهم تذارق أخو هرقل ••• » •

وبعد أن ذكر ابن اسحاق وقوع المعركة ، قال : « قالوا : وكانت أجنادين في سنة ثلاث عشرة لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ••• »(١) •

(٢) رواية سيف بن عمر • توفي سيف بن عمر سنة ١٨٠ هـ ، وهو من قبيلة بني أسد ، وأسد لم تشارك في فتوح الشام • وتميزت رواياته بالاسهاب والمبالغة • وقد اعتمد الطبري على كثير من رواياته بالرغم من أنه لم يكن له رأي حسن فيه • وتعد رواياته أقل وثاقة من روايات أهل المدينة فيما يتعلق بفتوح الشام • والرواية التي وردت في تأريخ الطبري في حوادث سنة ١٥ هـ بعنوان فتح بيسان ووقعة أجنادين ، تختلف كثيرا عن الروايات التي ذكرها رواة المدينة لتلك المعركة • وقد يظن القارىء أنها معركة أخرى جرت في أجنادين ، وهذا غير واقع • نذكر الرواية كما يأتي : « ولما توجه علقمة الى غزة ، وتوجه معاوية بن أبي سفيان الى قيسارية ، صمد عمرو بن العاص الى الأرطبون ، ومر

(١) تأريخ الطبري (٢/ ٦١ و ٦١١) • طبع القاهرة ، سنة ١٩٣٩ م

بإزائه ، وخرج معه شرحبيل بن حسنة على مقدمته .... فخرج عمرو بن العاص حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم ، وعليهم الأرطبون .. »[١] .

ومن الغريب أن سيف بن عمر أسهب في ذكر المعركة ، وزعم أن عمرو بن العاص .. سمع بقائد الروم أرطبون ، وجرى بينهما حديث خدع به عمرو أرطبون ، ولكنه لم يذكر تأريخ وقوع المعركة ، مع أن الرواة الآخرين ـ على اختصارهم للحوادث ـ ذكروا تأريخ المعركة بيومها ووقتها .

(٣) رواية الواقدي ، وهو من رواة المدينة الثقات ، توفي سنة ٢٠٧ هـ . ووردت هذه الرواية في تأريخ ابن عساكر كما يأتي : « وقال الواقدي : واليقين عندنا أن أجنادين كانت في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وبشر بها أبو بكر بآخر رمق »[٢] .

وذكر ابن سعد كاتب الواقدي في طبقاته في ترجمة عمرو بن سعيد أن عمرا قتل في يوم أجنادين في خلافة أبي بكر في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، وكان على الناس يومئذ عمرو بن العاص .

(٤) رواية علي بن محمد المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ هـ . ذكر الطبري روايته في وقائع سنة ١٣ هـ ، ونذكرها كما يأتي :

« قال المدائني : وأتى خالد دمشق ، فجمع له صاحب بصرى ... » الى أن قال : « فتوافت جنود المسلمين والروم بأجنادين ، فالتقوا يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة ... »[١] .

(٥) ما ذكره البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩ هـ في كتابه فتوح البلدان . ذكر البلاذري أن معركة أجنادين وقعت في سنة ١٣ هـ ، وكتب خبرها في كتابه بعنوان يوم أجنادين ، وقال : « ويقال أجنادين الأولى بكسر الدال والثانية بفتحها ... » الى أن قال : « ثم كانت وقعة أجنادين ، وشهدها من الروم زهاء مئة ألف ، سرب هرقل أكثرهم وتجمع باقوهم من النواحي ، وهرقل يومئذ مقيم بحمص ... » .

وبعد أن ذكر خبر المعركة ومن استشهد فيها من الصحابة ، قال : « وكانت وقعة أجنادين يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، ويقال لليلتين خلتا من جمادى الآخرة ، ويقال لليلتين بقيتا منه .. »[٤] .

---

(١) تأريخ الطبري (٣/١٠) .
(٢) مختصر تأريخ ابن عساكر (١/١٤٤) .
(٣) تأريخ الطبري (٢/٦١١)
(٤) فتوح البلدان (١٢٠ و ١٢١) ، طبع القاهرة سنة ١٣٥٠ هـ .

(٦) ما ذكره ابن واضح اليعقوبي المتوفى سنة ٢٩٢ هـ في كتابه تأريخ اليعقوبي ، قال : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد ، بعد وصوله من الشام الى العراق ، صار الى غوطة دمشق ... وصار الى حوران ، فقصد مدينة بصرى ، فحاربهم ، فسألوه الصلح ، فصالحهم . ثم صار الى أجنادين ، وبها جمع الروم ، فحاربهم محاربة شديدة ، وتفرق جمع الكفرة . وكانت وقعة أجنادين يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة »[١] .

يظهر من هذه الروايات القديمة التي ذكرناها عن معركة أجنادين أن جميع الرواة اتفقوا على أن المعركة وقعت سنة ١٣ هـ ، ما عدا سيف بن عمر ، فقد ذكر أنها وقعت سنة ١٥ هـ .

(٧) جاء في كتاب الغزوات لأبي القاسم عبدالرحمان بن محمد الأنصاري المرسي الملقب بابن حبيش ، المتوفى سنة ٥٨٤ هـ : أن أبا بكر توفي لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة ، ليلة الثلاثاء ، أي بعد أجنادين بأربعة وعشرين يوما ... » . والخبر هذا يؤيد أن المعركة وقعت في ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ هـ[٢] .

(٨) تراجم ابن عبدالبر النمري القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣ هـ في كتاب الاستيعاب . جاء في ترجمة عمرو بن سعيد بن العاص ما يأتي :

« وقتل عمرو بن سعيد مع أخيه بأجنادين سنة ١٣ الهجرية ، هكذا قال الواقدي وأكثر أهل السيرة ... » .

وقال في ترجمة أبان بن سعيد بن العاص : « وكانت اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة ١٥ هـ في خلافة عمر . وكانت وقعة أجنادين في جمادى الأولى سنة ١٣ هـ قبل وفاة أبي بكر بدون شهر »[٣] .

(٩) تأريخ ابن عساكر : وردت رواية في هذا الكتاب لأبي القاسم ابن السمرقندي بإسناده الى أبي حذيفة اسحاق بن بشر القرشي مؤداها أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية وقت صلاة الظهر .

وفي رواية للزهري أن أجنادين وفحلا وقعتا سنة ١٣ الهجرية . وأما أجنادين ، فكانت في جمادى الأولى . وأما فحل ، ففي ذي القعدة .

---

(١) تأريخ اليعقوبي (ص ١١٢) طبع النجف .
(٢) لم نطلع على هذا الكتاب ، وذكرنا الرواية نقلا عن كتاب كيتاني ، والكتاب يبحث في أخبار الفتوح من سنة ١١ الى سنة ٣٥ هـ وهو مخطوط في خزانة كتب برلين الملكية .
(٣) الاستيعاب (١/٣٧) و (٢/٤٢٩) .

ومع هذا الوضوح فى الروايتين اعتمد ابن عساكر فى شرح حوادث المعركة على رواية سيف بن عمر ، فقدم اليرموك على أجنادين[١] .

(١٠) جاء فى تاريخ الخلفاء للسيوطى أن أبا بكر بعث عمرو بن العاص والجنود الى الشام ، فكانت وقعة أجنادين فى جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، ونصر المسلمون ، وبشر بها أبو بكر با خر رمق . وفيها كانت وقعة مرج الصفر »[٢] .

(١١) ذكر ياقوت الحموى فى كتابه معجم البلدان فى مادة أجنادين : أن أبا اسحاق ابن بشر المتوفى سنة ٢٠٦ هـ روى أن وقعة أجنادين كانت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى سنة ١٣ هـ ، قبل وفاة أبى بكر بنحو شهر .

(١٢) أما ابن خلدون ، فيظهر أنه تأثر بروايات سيف بن عمر ، ووصف المعركة كما جاء فى تاريخ الطبرى برواية سيف فقال : « تقدم لنا ذكر هذه الوقعة قبل اليرموك على قول من جعلها قبلها ، وهذا على قول من جعلها بعدها »[٣] . ولكنه حينما وصف وقائع اليرموك فى الصفحة (٨٥) قال : « وكانت وقعة اليرموك فى رجب بعد أجنادين » .

(١٣) ذكر الذهبى المتوفى سنة ٧٤٨ هـ فى كتابه تاريخ الاسلام وطبقات المشاهير والأعلام ، وقعة أجنادين فى حوادث سنة ١٣ الهجرية . قال : « وقال ابن اسحاق : ثم ساروا جميعا قبل فلسطين ، فالتقوا بأجنادين بين الرملة وبين جرش ، والأمراء كل على جنده . وقيل : ان عمرا كان عليهم جميعا ، وعلى الروم القيقلان ، فقتل ، وانهزم المشركون يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة . وقال الواقدى : ان الثبت عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وبشر بها أبو بكر »[٤] .

(١٤) قال ابن كثير ، بعد أن ذكر أن وقعة اليرموك فى سنة ١٣ قبل فتح دمشق استنادا الى رواية سيف بن عمر وبتأييد الطبرى : « وأما الحافظ ابن عساكر ، فانه نقل عن يزيد بن أبى عبيدة والوليد وابن لهيعة والليث وأبى معشر ، أنها كانت فى سنة خمس عشرة بعد فتح دمشق . ثم قال : « وقال محمد بن اسحاق : كانت فى رجب سنة خمس عشرة . وقال خليفة بن خياط : قال ابن الكلبى : كانت وقعة اليرموك يوم الاثنين لخمس مضين من رجب سنة خمس عشرة . قال ابن عساكر : وهذا هو المحفوظ ، وأما ما قاله سيف من أنها قبل فتح دمشق سنة ثلاث عشرة ، فلم يتابع عليه[٥] » .

(١) مختصر تاريخ ابن عساكر .
(٢) تاريخ الخلفاء (٥٢) .
(٣) تاريخ ابن خلدون (٢/١٠٦) .
(٤) تاريخ الذهبى (١/٣٧٥) طبع القاهرة
(٥) تاريخ ابن كثير (م ٧ ص ٤) .

(١٥) جاء فى تأريخ الخميس لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكرى ، وهو من المتأخرين : « ان الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت » . ثم روى عن سهل بن سعد أنه قال : « وكانت وقعة أجنادين أول وقعة عظيمة بالشام ، وكانت سنة ١٣ هـ فى جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه »[١] .

المصادر الرومية واللاتينية والسريانية[٢]

وردت أخبار الفتوح الأولى فى المصادر الرومية واللاتينية والسريانية غامضة ، فهى فيها عبارة عن اشارات وتلميحات قد يصعب استنباط الحقيقة منها ، وفيها نتف وردت هنا وهناك ، من غير ذكر لأسماء المواقع . ومع ذلك يستطيع الباحث المنقب أن يستخرج منها معلومات تساعده على استقصاء أخبار الفتوح الأولى .

ومن المصادر الرومية كتاب تئوفانس المتوفى سنة ٨١٩ م ، أى فى حدود سنة ٢٠٠ هـ . وقد ذكر هذا المؤرخ أن أبا بكر بعث سنة ٦٣٤ م (سنة ١٣ هـ .) أربعة قادة (وكان معهم العرب الذين سخطوا على هرقليوس ؛ لأنه قطع عنهم الاتاوة) يدلونهم ، ففتح أولئك القادة (La Héra) وجميع بلاد غزة ، فتقدم نحوهم على عجل سرجيوس حاكم قيسارية على رأس قوة صغيرة ، ولكن قوته هذه المؤلفة من ثلاث مئة رجل كسرت شر كسرة ، وقتل سرجيوس فى أول المعركة ، فرجع العرب بالغنائم والأسرى بعد هذا الانتصار الباهر .

ويشير تئوفانس الى وقعة سماها « دثيمس » أو « دثيما » ، وينبغى أن تكون وقعة الدثينة أو داثن التى ذكرها الرواة المسلمون ، ووقعت بين الروم وأبى أمامة القضاعى الذى بعثه يزيد بن أبى سفيان . ذكر دى غويه الذى اقتبسنا هذا الخبر من كتابه (مذكرة عن فتح سورية)[٣] ، أن سرجيوس لم يقتل فى هذه المعركة ، كما يظهر من كتاب صفرنيوس بطريرك القدس المرسل الى سرجيوس . وقد سمى صفرنيوس بطريركا سنة ٦٣٤ م . ويضيف دى غويه أنه لا يستطيع أن يتبين موقع (Héra) التى أشار اليها تئوفانس ، ويلوح له أن المؤرخ المذكور خلط وقائع العراق بوقائع جنوبى فلسطين — وهو مؤرخ بيزنطى ربما لاتهمه وقائع العراق . وعلى كل حال ينبغى

---

(١) تأريخ الخميس (٢/٢٣٤)

(٢) أشار كيتانى فى بحثه عن معركة أجنادين الى هذه المصادر ، وذكرها المستشرق الهولندى دى غويه فى مذكرته عن فتح سورية .

(٣) (ص ٣٤) De Goje : Mémoire sur la Conepuéte De La Syrie

أن تكون (هيره) الواردة في كتابه هي (الحيرة) التي افتتحها خالد بن الوليد سنة ١٢ هـ .

أما المؤرخ الأرمني سبيؤس ، فقد ذكر « أن العرب عسكروا في رهابوث موآب في بلاد سبط روبن ، على حين عسكر جيش الروم في (العربية) . هاجم العرب الروم بغتة ، فكسروهم وقتلوا منهم عددا كبيرا بعد ما هزموا ثيودوس أخا الانبراطور ، ثم رجعوا الى العربية » . يشير دي غويه الى أن العربية الأولى التي عسكر فيها الروم هي العربة ، أو وادي العربة . أما العربية الثانية التي تسحب اليها العرب ، فينبغي أن تكون البلاد العربية . ويظهر مما ذكره المؤرخ الأرمني أنه خلط بين قتال وادي العربة أو الدثينة وبين معركة أجنادين [١] .

ثم يأتي نيسوفورس بطريرك القسطنطينية (وهو معاصر لتؤفانس . مات سنة ٨٢٩ م) ، فقد ذكر هذا المؤلف « أن العرب استولوا على بلاد انطاكية ؟ بعد الاحتفال الذي جرى لهرقل ببضع سنوات بمناسبة عودته اليها من حرب الفرس فاتحا . ثم أشار نيوسفورس ، في الصدد هذه الحوادث ، الى قتل سرجيوس قائد غزة بعد أن ذهب على رأس قوته ليحول دون توغل العرب في جنوبي فلسطين . وهو الذي ذكر بعض مؤرخي العرب أنه قتل في معركة الداثن ... » ثم ذكر أن هرقل غضب على أخيه تئودور وجعل بدله قائدا آخر يدعى تئودور وجعله (تريثوريوس Trithurins) وناط به قيادة الشرق ، وأوصاه بألا ينشب المعركة مع الشرقيين (العرب) . ولكن العرب رتبوا كمينا ، وأفرزوا قوة صغيرة لمناوشة الروم ، وحملوهم على التقدم شيئا فشيئا حتى أوقعوهم في الكمين ، فهجموا عليهم من جهتين ، وقتلوا عددا كبيرا من جنود الروم وقادتهم ... » [٢] .

يصعب الحصول على فكرة واضحة مما كتبه نيسوفورس ، ولعل القتال الذي يشير اليه وقتل فيه خلق كثير من الروم هو القتال الذي وقع في يوم اليرموك ؛ لأن هرقل سخط على أخيه وأبعده عن سورية بعد حدثة (أجنادين) كما يتضح مما جاء في كتب التأريخ .

أما المؤرخ السرياني ميخائيل ، فذكر أن عمر تولى الخلافة بعد أبي بكر ، وأرسل جيشا الى العربية (أي المقاطعة الرومانية التي تدعى العربية ، وهي شرقي الأردن) ففتح العرب مدينة بصرى ، وخربوا عدة مدن . وقد وقع ذلك في

(١) دي غويه : مذكرته عن فتح سورية (ص ٣٥) .
(٢) كيتاني : (م ٣ ج ١/٢٦٥) .

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب[1] .

وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان تئوذريك كان يقود الروم . ولابد أن يكون هذا أخا هرقل الذي سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم في عربة الدثينة وقبل اليرموك ، فلابد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التي وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بني اسماعيل العرب بالانتصار ، وفي ذلك ارادة الله التي أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التي ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .

وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التي وعظها صفرنيوس بطربرك القدس في عيد ميلاد المسيح في (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهي :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر في هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اننا ، والحق يقال ، لسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التي قبلت الرب الا له ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا لرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل لخوفنا من سيف البدو ... » .

وفي موعظة أخرى :

« فاذا كملنا اذن ارادة الله الأبوية ، وحافظنا بثبات على الايمان القديم ، فستقصى عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفي وقت قصير سنشاهد بيت لحم الالهية ، وسنتأمل العجائب التي تحتويها .. » .

وفي محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بني هاجر الأشرار هي الآن شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين في عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

(١) كيتاني : (م ٣ ج ١/٦٧)

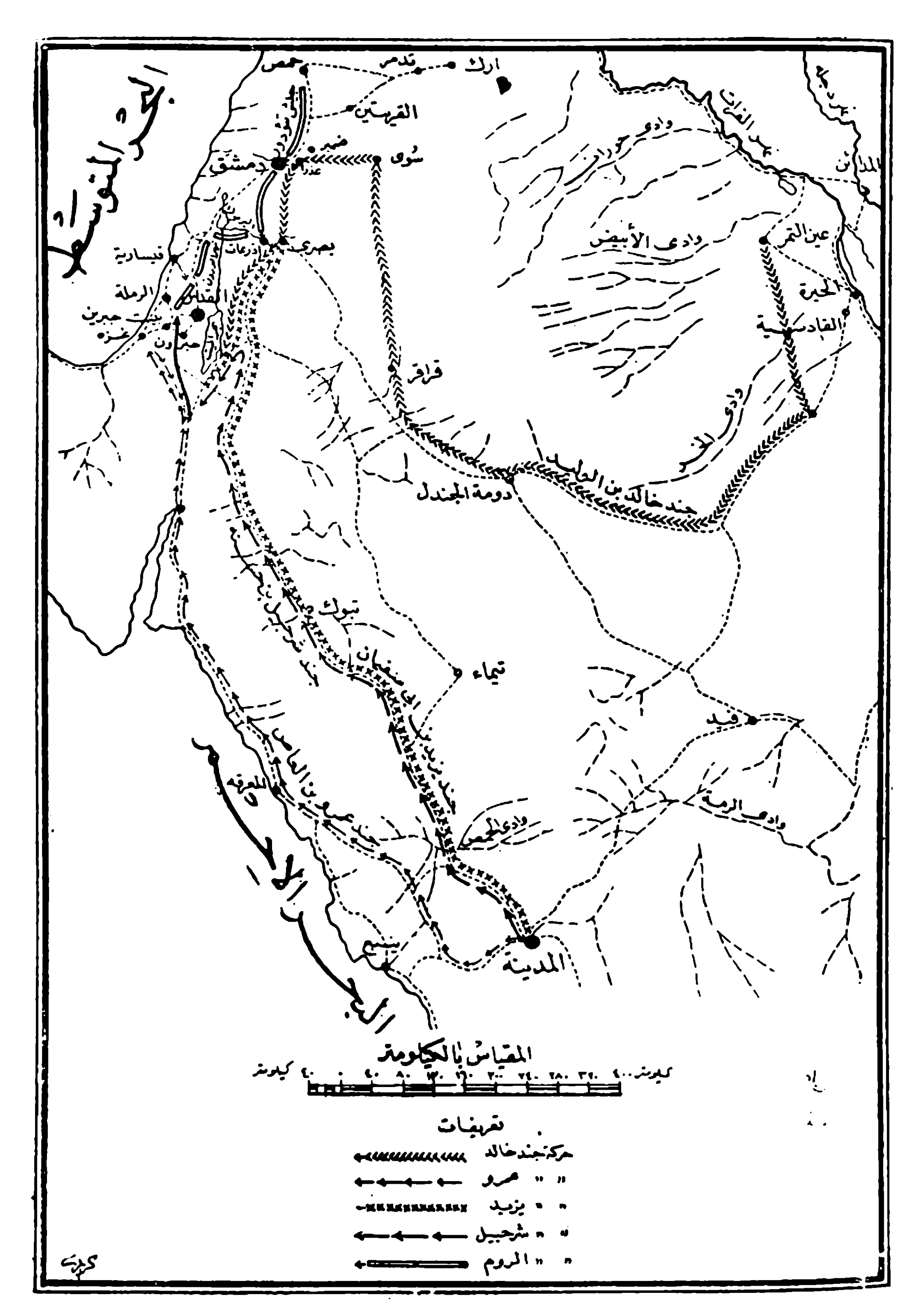
تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق فى المسير • أما الروايات التى تزعم أن الجيوش تحركت فى وقت واحد ، فلا يؤبه لهما ، وكذلك الروايات التى تجعل أبا عبيدة بن الجراح الأمير الرابع ، هى على ما ظهر لنا ضعيفة • أما أن يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمن الثبت • وجاء فى أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبى سفيان • وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردءا فى تيماء ، أى عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها الى الشام • وذكر ابن الأثير فى تأريخه أنه قيل : ان أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد الى العراق (١) •

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق الى حد ما على الواقع ؛ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذى كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان مكلفين جمع الصدقات • ولعل أبا بكر أرسله الى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين ، اذ قد ينهز الروم الحرب الداخلية فى بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة فى الانتصار للمرتدين •

وليس من شك فى أن أبا بكر فكر فى ارسال الجيش الى الشام عقب انتهاء حركات الردة • وعزمه على ارسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأى الصحابة لما طلبوا اليه أن يكف عن ارسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف فى المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ بهذا يجوز أن يكون أبو بكر قدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم فى الشام • ويظهر أنه استمع بعد ذلك الى رأى عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبى سفيان فى محله •

وفى رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التى عقد لها هو جيش يزيد بن أبى سفيان ، وكان هدفه البلقاء ، وطريقه طريق تبوك • ولعل عمرو بن العاص كان على رأس الجيش الثانى الذى سلك طريق الساحل من الوجه الى أيلة ، وهدفه جنوبى فلسطين • أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذى يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبى سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات • وفى التواريخ روايات تروى

(١) تأريخ ابن الأثير (٢/١٥٤) •


البحر المتوسط
حمص
تدمر
ارك
القريتين
دمشق
سوى
بصرى
قيسارية
الرملة
غزة
عين التمر
الحيرة
القادسية
المدائن
وادي الأبيض
قراقر
دومة الجندل
جند خالد بن الوليد
تبوك
تيماء
فيد
وادي الرمة
وادي الحمض
المدينة
البحر الأحمر
المقياس بالكيلومتر
تعريفات
حركة جند خالد
" " عمرو
" " يزيد
" " شرحبيل
" " الروم

خارطة ١ ص (٧٩)

السنة الرابعة والعشرين من حكم هرقل والسنة الثالثة عشرة لدى الطائيين العرب[١] .

وكتب كيتاني : أن ميخائيل هذا أشار الى معركة وقعت بين العرب والروم ، ولم يذكر محل وقوعها ، ولكنه قال : ان تئوذريك كان يقود الروم . ولابد أن يكون هذا أخا هرقل الذي سماه العرب تذارق . وذكر أن المعركة المذكورة وقعت بعد انهزام الروم في عربة الدثينة وقبل اليرموك ، فلابد أن تكون هذه المعركة معركة أجنادين التي وصف ميخائيل كيفية وقوعها ، وأشار الى فرح بني اسماعيل العرب بالانتصار ، وفي ذلك ارادة الله التي أنقذت سورية من البيزنطيين القائلين بالطبيعتين . وكان المؤرخ هذا كمعظم السوريين من القائلين بالطبيعة الواحدة ، وكانوا يكرهون البيزنطيين ؛ لأنهم يقولون بأن للمسيح طبيعتين . ويرى المؤرخون الغربيون أن من الأسباب التي ساعدت العرب على فتح سورية عدم اخلاص أهل سورية لبيزنطية بسبب الاختلافات المذهبية .

وأخيرا نريد أن نشير الى الموعظة التي وعظها صفرنيوس بطاريرك القدس في عيد ميلاد المسيح في (٢٥ كانون الأول سنة ٦٣٤ م = ٢٧ ذي القعدة سنة ١٣ هـ) ، وهي :

« أما نحن ، فلعدم جدارتنا بالنظر في هذه الأمور بسبب خطايانا الكثيرة وآثامنا الكبيرة ، فقد حظر علينا الذهاب الى هناك (بيت لحم) والحضور والبقاء فيها ، بل نحن مضطرون وبرغم ارادتنا أن نلازم البيت . اننا ، والحق يقال ، لسنا مقيدين بأغلال مادية ، انما نحن مقيدون ومربوطون بالخوف من البدو . وبرغم قربنا الكثير من بيت لحم التي قبلت الرب الاله ، لا يؤذن لنا البتة أن ندخلها ، ولكن لا لرؤيتنا سيف الفردوس الدائر حول رؤوسنا ، بل لخوفنا من سيف البدو ... » .

وفي موعظة أخرى :

« فاذا كملنا اذن ارادة الله الأبوية ، وحافظنا بثبات على الايمان القديم ، فسنقصي عنا بسهولة سيف الاسماعيليين ، ونصرف عنا حسام البدو ، ونحطم قوس أبناء هاجر . وفي وقت قصير سنشاهد بيت لحم الالهية ، ونتأمل العجائب التي تحتويها .. » .

وفي محل آخر :

« من الحقيقة أن حامية بني هاجر الأشرار هي الآن شاغلة ومسيطرة كما قلنا سابقا ، مثلما كانت حامية الفلسطينيين في عهد داود مسيطرة عليها ، ولا تسمح لأحد البتة بالذهاب اليها . وان القتل والموت يتهددان كل من يخرج من بيته للذهاب الى هذه

(١) كيتاني : (م ٣ ج ٦٧/١)

تتفق على أن أبا بكر عقد ثلاثة ألوية ، وتكاد تجمع على أسماء الأمراء ، ولكنها تختلف فيمن سبق فى المسير • أما الروايات التى تزعم أن الجيوش تحركت فى وقت واحد ، فلا يؤبه لهـا ، وكذلك الروايات التى تجعل أبا عبيـدة بن الجراح الأمير الرابع ، هى على ما ظهر لنا ضعيفة • أما أن يزيد بن أبى سفيان وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة كانوا أول الأمراء الذين عقد أبو بكر لهم الألوية ، فمن الثبت • وجاء فى أكثر الروايات أن خالد بن سعيد هو أول من عقد له لواء ، ولكنها تذكر أن أبا بكر عزله بعد ذلك ، وأمر بتسليم اللواء الى يزيد بن أبى سفيان • وبين الروايات رواية تزعم أن أبا بكر عقد لخالد بن سعيد حينما وجه الجيوش لمحاربة المرتدين ، وجعله ردءا فى تيماء ، أى عقد له قبل تجهيز الجيوش تمهيدا لارسالها الى الشام • وذكر ابن الأثير فى تأريخه أنه قيل : ان أبا بكر سير خالد بن العاص لما سير خالد بن الوليد الى العراق (١) •

يلوح لنا أن هذه الروايات تنطبق الى حد ما على الواقع ؛ لأن خالد بن سعيد هو الأمير الوحيد الذى كان بغير عمل حينما عاد جيش أسامة من غزوته من بلاد الشام ، وكان عمرو بن العاص ويزيد بن أبى سفيان مكلفين جمع الصدقات • ولعل أبا بكر أرسله الى تيماء حينما ذهب خالد لمقاتلة المرتدين ليراقب العرب المتنصرة عملاء البيزنطيين ، اذ قد ينتهز الروم الحرب الداخلية فى بلاد العرب ، ويحرضونهم على الهجوم على أرض المسلمين متفقين مع القبائل الشمالية المرتدة فى الانتصار للمرتدين •

وليس من شك فى أن أبا بكر فكر فى ارسال الجيش الى الشام عقب انتهاء حركات الردة • وعزمه على ارسال جيش أسامة معلوم ، وقد خالف رأى الصحابة لما طلبوا اليه أن يكف عن ارسال ذلك الجيش ، بعد أن تأزم الموقف فى المدينة بتأهب القبائل للهجوم عليها ؛ لهذا يجوز أن يكون أبو بكر قـدم خالد بن سعيد وأمره على أول جيش لمقاتلة الروم فى الشام • ويظهر أنه استمع بعد ذلك الى رأى عمر ، فعزله ، وعين يزيد بن أبى سفيان فى محله •

وفى رأينا أن أول من تقدم من الجيوش التى عقد لها هو جيش يزيد بن أبى سفيان ، وكان هدفه البلقـاء ، وطريقه طريق تبوك • ولعل عمرو بن العـاص كان على رأس الجيش الثانى الذى سلك طريق الساحل من الوجه الى أيلة ، وهدفه جنوبى فلسطين • أما الجيش الثالث ، فهو جيش شرحبيل بن حسنة الذى يلوح أنه أرسل مددا ليزيد بن أبى سفيان ، فسلك طريق تبوك كما ذكرته الروايات • وفى التواريخ روايات تروى

(١) تأريخ ابن الأثير (٢/١٥٤) •

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبى سفيان مددا • ويتراءى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشام • ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة • وذكر البلاذرى أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبى عبيدة ، فاستعفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك بثبت • ولكن عمر ولاه الشام حين استخلف »[١] • ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبى عبيدة فى معركة اليرموك ، ولم تشر الى وجوده فى معركة أجنادين الا روايات قليلة •

اذن يتضح لنا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبى سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته البلقاء • وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبى سفيان •

لانظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجرى الآن فى الجيوش التى تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص • ومع أنها كانت تتحرك على انفراد فى مناطق خاصة بها ، ففى الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع فى منطقة واحدة لتتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب الى الأمراء فى هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذى تجرى الحركات فى كورته •

والآن ، فلنبحث فى الطريقة المثلى التى ينبغى أن تسلكها هذه الجيوش حين توغلها فى بلاد الشام •فالمبادىء الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب ووجهتها الشمال ، وأن تسعى فى زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتى اليها منها ، ولأنها سوف تلتجىء اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها • ويلوح لنا أن الروايات التى ذكرت أن هدف يزيد بن أبى سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهذا نجزم بأن البلقاء كانت هدف يزيد بن أبى سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص • ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة •

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش فى طريقها ، فالروايات سكتت ، وقد نستنتج

(١) فتوح البلدان (١١٦) •

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات في وصف معركة أجنادين والتي حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك •

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية في بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية • ولما كانت فلسطين الهدف الأقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها • وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم • وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يتريث في المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبي سفيان ، ويستنجد بأبي بكر • تقدمت قواته في بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشنت الغارة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب في نفوس الأهلين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت في غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب • وفي هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقي دمشق ، فأغار على الغسانيين في عيد فصحهم في مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى •

ولعل القوات الرومية بقيادة تئودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جلق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبرته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء • واذا أردنا أن نصدق الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد أبي عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التي جعلت فتح بصرى على يدخالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبي سفيان في جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم • وتمت هذه المواجهة في أجنادين ، فكسر الروم في المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتمى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا في بيسان أولا ، وفي فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب في هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية في منازلة القلاع المستحكمة • ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التي أنجدتها حامية دمشق ، في مرج الصفر • وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

ارسال وليد بن عقبة ومعاوية بن أبي سفيان مددا • ويتراءى لنا أن أبا عبيدة كان آخر من بعث الى الشـام : اما على رأس قوة قليلة ، واما وحده ليتولى امرة الشـام • ولعله ترك المدينة الى الشام بعد حركة الجيوش بمدة غير قصيرة • وذكر البلاذرى أن أبا بكر أراد أن يعقد لأبي عبيدة ، فاستعفاه من ذلك ، وأضاف قائلا : « وقد روى قوم أنه عقد له » ، وليس ذلك بثبت • ولكن عمر ولاه الشام حين استخلف »(١) • ومما يؤيد ذلك أن الروايات أجمعت على وجود أبي عبيدة في معركة اليرموك ، ولم تشـر الى وجوده في معركة أجنادين الا روايات قليلة •

اذن يتضح لنـا مما سبق أن الجيوش الثلاثة تحركت نحو الشام ، الواحـد بعد الآخر ، وأن جيش يزيد بن أبي سفيان سبق الجميع ، وكانت وجهته البلقاء • وسار بعده جيش عمرو بن العاص ، ثم سار جيش شرحبيل بن حسنة مددا لجيش يزيد بن أبي سفيان •

لانظن أن الجيوش هذه تحركت على وفق خطة مرسومة كما يجرى الآن في الجيوش التي تباشر الحروب ، ولكننا نجزم بأنه كان لكل جيش هدف خاص • ومع أنها كانت تتحرك على انفراد في مناطق خاصة بها ، ففي الأخبار روايات تدل على أن أبا بكر كان يتوقع أنها قد تضطر الى الاجتماع في منطقة واحدة لتتعاون على دحر العدو ، لهذا طلب الى الأمراء في هذه الحالة أن يكون أمير الجيش الأمير الذى تجرى الحركات في كورته •

والآن ، فلنبحث في الطريقـة المثلى التي ينبغي أن تسلكها هـذه الجيوش حين توغلها في بلاد الشام • فالمبادىء الحربية تتطلب منها أن تتقدم من الجنوب وجهتها الشمال ، وأن تسعى في زحفها الى المحافظة على خطوط مواصلاتها بجزيرة العرب ؛ لأن المدد يأتي اليها منها ، ولأنها سوف تلتجىء اليها حين الشدة ، ولا سبيل للعدو أن يتوغل فيها • ويلوح لنا أن الروايات التي ذكرت أن هدف يزيد بن أبي سفيان دمشق ، غير صحيحة ؛ لهـذا نجزم بأن البلقاء كانت هـدف يزيد بن أبي سفيان ، وكانت فلسطين هدف عمرو بن العاص • ويظهر أن شرحبيل بن حسنة استهدف الأردن ، فسار على طريق تبوك وراء جيش يزيد ، ثم انعطف نحو نهر الأردن ، فأصبح بمثابة جيش ارتباط بين جيش يزيد وجيش عمرو ، ينحاز الى أحدهما عند الضرورة •

لا نعلم شيئا عما صادفته هذه الجيوش في طريقها ، فالروايات سكتت ، وقد نستنتج

---

(١) فتوح البلدان (١١٦) •

اعتمد عليه جماعة من المؤرخين الغربيين ، على حين لم تسهب هذه الروايات في وصف معركة أجنادين والتي حاولت أن تجعل هذه المعركة حاسمة ، خلطت وقائعها بوقائع اليرموك .

ان نشوب معركة أجنادين قبل نشوب معركة اليرموك ، يجعل سير الحركات العربية في بلاد الشام أدعى للقواعد الحربية . ولما كانت فلسطين الهدف الأقصر ، لم يكن بد من أن تقع أولى المعارك فيها . وفيها القدس وبيت لحم اللتان يقدسهما الروم . وأسسوا فيها قيادة عسكرية مقرها قيسارية ؛ لهذا نشاهد أن أول قتال جرى فيها جعل عمرو ابن العاص يتريث في المسير ، ويطلب المعونة من شرحبيل بن حسنة أو يزيد بن أبي سفيان ، ويستنجد بأبي بكر . تقدمت قواته في بعض أنحاء فلسطين الجنوبية ، وشنت الغارة على القرى والأرياف ، وألقت الرعب في نفوس الأهلين ، ثم اضطرت الى التراجع ، وأقامت في غمر العربات ؛ لتكون على مقربة من القوات العربية الأخرى وعلى اتصال ببلاد العرب . وفي هذه الفترة وصل خالد بن الوليد من العراق بقوته الى شرقي دمشق ، فأغار على الغسانيين في عيد فصحهم في مرج راهط عند قرية عذراء ، وسار بعد ذلك نحو الجنوب الى مدينة بصرى .

ولعل القوات الرومية بقيادة تئودور كانت قد وصلت وقتئذ الى جِلّق ، فانتظرت فيها ، ثم تقدمت الى نهر الأردن فعبرته ، ودخلت فلسطين بعد أن تأكدت أن خالد بن الوليد توجه الى بلاد البلقاء . واذا أردنا أن نصدق الروايات التي جعلت فتح بصرى على يد أبي عبيدة بن الجراح ، جاز لنا أن نجعل فتح مدينة بصرى بعد معركة أجنادين ، أما اذا اعتمدنا على الروايات التي جعلت فتح بصرى على يدخالد ، فلا بد أن نعتقد أن قوته اجتمعت مع قوة يزيد بن أبي سفيان في جوارها ، ثم تقدمت جميعا بعد الفتح نحو الجنوب ، وانضمت الى قوات شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص استعدادا لمواجهة الروم . وتمت هذه المواجهة في أجنادين ، فكسر الروم في المعركة ، وتفرقت فلولهم ، واحتمى فريق منها وراء أسوار القدس ، على حين تسحب الباقون الى الشمال ، واجتمعوا في بيسان أولا ، وفي فحل ثانية ، فجرى القتال فيهما بين العرب والروم ، وكان النصر فيه للعرب في هذه المرة أيضا ، فتمهد لهم فتح فلسطين ما عدا المدن الحقيقية ؛ اذ لم يكن لدى العرب حينئذ وسائل كافية في منازلة القلاع المستحكمة . ثم عبر العرب نهر الأردن ، ووصلوا الى الجابية ، وتقدموا نحو دمشق ، واصطدموا للمرة الأخيرة هم وفلول الروم التي أنجدتها حامية دمشق ، في مرج الصفر . وأخيرا نزلوا على أسوار دمشق ،

فحاصروها . ولعل هذا الحصار هو الحصار الأول لمدينة دمشق . أما الثاني ، فهو الحصار الذي وقع بعد معركة اليرموك .

هكذا يتضح لنا من مجرى الحركات على هذه الصورة أن الجيوش العربية فى قتالها للروم كانت تحرص دائما على أن تكون خطوط اتصالاتها وراء ظهرها ، ولم تتقدم من فلسطين الى دمشق الا بعد أن طردت الروم منها . ولم تلاق كبير عناء فى حصارها الأول لدمشق . وبعد أن تم لها فتح هذه المدينة ، توجهت نحو حمص من غير مقاومة تذكر . والروايات التى تشير الى وقوع قتال بين دمشق وحمص فى أثناء حصار دمشق ، لعلها تشير الى محاولات رومية مخفقة استهدفت فك الحصار عن دمشق . ولم يك فى استطاعة هرقل تجهيز جيش آخر بسرعة ، وقد نهكت حروب الفرس قواته ، وربكت خزانة الدولة ، وكان هذا الارتباك من الأسباب التى سهلت فتح العرب لبلاد الشام ، كما أشار اليه المؤرخ البيزنطى تئوفانس مبينا أن عدم أعطيات المرتزقة العرب جعل هؤلاء ينفرون من الروم ، وحملهم على مساعدة المسلمين . لهذا لم يستطع هرقل تجهيز جيش آخر الا سنة خمس عشرة الهجرية ، وذلك بجلب قوات من ارمينية ، والاستفادة من العرب المتنصرة بعد أن أكثر الأعطيات .

ومما يؤيد وقوع معركة أجنادين قبل اليرموك أن الروايات العربية لم تذكر استرداد الجيوش الرومانية للمدن التى افتتحها العرب فى زحفها من حمص الى دمشق ، ففلسطين ، لمقابلة العرب فى أجنادين ، كمدن بصرى وبيسان وفحل وغيرها ، مما يدل على أن معركة سنة خمس عشرة الهجرية وقعت عند اليرموك ، لا فى أجنادين .

يوم المعركة

تكاد الروايات تتفق على أن معركة أجنادين وقعت فى شهر جمادى الأولى ، ولكنها اختلفت فى يوم المعركة ، فذكر ابن اسحاق أن المعركة كانت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى ، وقال الواقدى : واليقين عندنا أن أجنادين كانت فى جمادى الأولى ، وأيد ابن سعد فى طبقاته هذه الرواية ؛ اذ ذكر أن عمرو بن سعيد قتل فى يوم أجنادين فى جمادى الأولى . أما المدائنى ، فذكر أن المعركة وقعت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى . وقال البلاذرى : ان المعركة وقعت يوم الاثنين لاثنتى عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى ، ويقال : لليلتين خلتا من جمادى الأخرى ، ويقال : لليلتين بقيتا منه . ويؤكد اليعقوبى رواية ابن اسحاق والمدائنى بقوله : « وقعة أجنادين كانت يوم السبت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى » . وأورد ابن حبيش أن أبا بكر توفي بعد أجنادين

بأربعة وعشرين يوما • وهذا يؤيد روايتي ابن اسحاق والمدائني • أما ابن عبدالبر ، فكرر ما ذكره اليعقوبي بقوله : ان أجنادين كانت في جمادى الأولى قبل وفاة أبي بكر بدون شهر • وذكر الزهري أنها وقعت في جمادى الأولى • وروى أبو حذيفة اسحاق بن بشر أنها وقعت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى • وقال السيوطي : ان الوقعة كانت في جمادى الأولى • وجاء في تاريخ الخميس أن الناس تزاحفوا يوم أجنادين غداة السبت ، ثم يشير الى رواية تذكر أن المعركة وقعت لليلتين بقيتا من جمادى الأولى • وذكر ابن خلدون أن معركة أجنادين وقعت في منتصف جمادى الأولى •

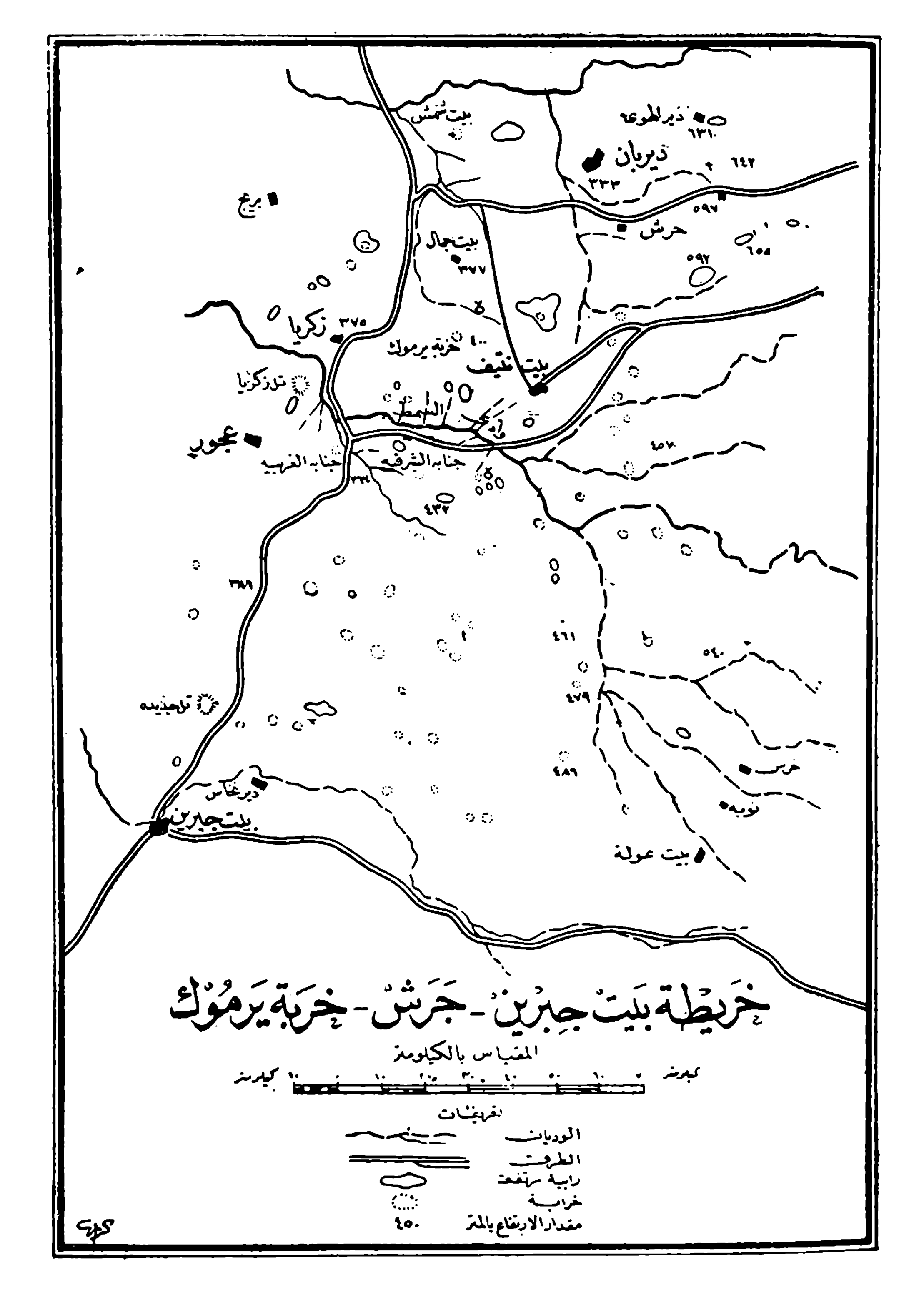
يظهر من هذه الروايات أن ابن اسحاق والمدائني واليعقوبي وابن حبيش متفقون على تاريخ وقوع المعركة ، ويقول المدائني واليعقوبي : انها وقعت يوم السبت • وفي الحقيقة أن تاريخ ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية يصادف يوم السبت • أما البلاذري ، فذكر ثلاثة تواريخ ، وجعل يوم الاثنين يصادف ١٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية ، مع أن يوم الأربعاء يصادف هذا التاريخ ، وتاريخ جمادى الآخرة سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الأربعاء كذلك • أما تاريخ ٢٨ جمادى الآخرة فيصادف يوم الاثنين • ولعل البلاذري غير أسماء الشهور ؛ لأن تاريخ ١٨ جمادى الآخرة وتاريخ ٢ جمادى الأولى وتاريخ ٢٨ جمادى الآخرة من سنة ١٣ الهجرية يصادف يوم الاثنين • ولعل التاريخ الصحيح فيما كتبه البلاذري ٢٨ جمادى الأولى ، لا ٢٨ جمادى الآخرة ، وهو يتفق مع رواية ابن اسحاق واليعقوبي والمدائني •

فيتضح من كل ذلك أن المعركة وقعت يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة الهجرية ، أي في ٣٠ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية •

أين وقعت المعركة ؟

راجع الخارطة (٢)

واذا كان في معرفة التاريخ الذي وقعت فيه المعركة بعض المشقة ، فان معرفة المحل الذي جرت فيه المعركة أشق • لقد جرت أكثر معارك الفتوح الأولى في أماكن معلومة لم يطرأ عليها تبدل ما ، أو أنها ظلت مدة غير قصيرة من الزمن كذلك • وقد حدث بعض التحريف في الأسماء سببه الخطأ في النسخ ، كالياقوصة والفاقوصة والواقوصة ، من السهل تمييز الصحيح منها بمعرفة اسم المحل كما يذكره أهله • والغريب أن بعض المؤرخين لم ينتبهوا الى خطأ النسخ ؛ لهذا راحوا يفسرون معنى الاسم المكتوب خطأ ، ويحاولون أن يجدوا صلة بين ذلك الاسم المغلوط فيه وما وقع في الحادثة ، فقالوا : سميت بالواقوصة ،



بيت شمس
ديرالهوى
٦٣١٠
ذيربان
٦٤٢
٣٣٣
٥٩٧
جرش
٦٥٤
٥٩٢
برج
بيت جمال
٣٧٧
زكريا
٣٧٥
خربة يرموك
٤٠٠
بيت نتيف
تل زكريا
عجور
جنابه الغربية
جنابه الشرقية
٤٣٢
٤٥٧
٤٦١
٥٤٠
٤٧٩
٤٨٦
دير نخاس
بيت جبرين
نوبه
بيت عولة
خريطة بيت جبرين - جرش - خربة يرموك
المقياس بالكيلومتر
تعريفات
الوديان
الطرق
رابية مرتفعة
خرابة
مقدار الارتفاع بالمتر
٤٥٠

خارطة ٢ (ص ٨٧)

لأن الروم وقصت أعناقهم حين سقوطهم فى الهاوية ، على حين أن اسم القرية التى جرت فيها آخر صفحة من صفحات معركة اليرموك هى الياقوصة ، وما تزال موجودة ، لا الواقوصة كما كتبها المستنسخون خطأ • وكتب البلدان العربية مشحونة بتعليل تسمية الأعلام الجغرافية ورجع التسمية الى أصل عربى ، مع أن الأعلام المذكورة أسماء أجنبية ارامية أو فارسية لا صلة لها بالعربية •

جرت معركة اليرموك قرب نهر اليرموك ، واسم الجابية ما يزال يطلق على الرابية قرب قرية نوى ، كما أن مرج راهط الذى جرى فيه قتال بين خالد بن الوليد والغسانيين أطلق عليه بعد ذلك اسم عذراء ، ولعله مرج عذراء ، كما أشار الى ذلك ابن عساكر • وقرية عذراء أو عدرا ، ما تزال موجودة ، واقعة شرقى دمشق على طريق ضمير • واسم الغمر ما يزال فى خارطة فلسطين فى وادى العربة قريبا فى ملتقاه بالبحر الميت • أما المدن الأخرى التى حوصرت وفتحت كبصرى وقيسارية ، والتى وقع فيها القتال كبيسان وفحل ، فأعلام واضحة • ولكن أجنادين ومرج الصفر ليسا من الأسماء التى لها أماكن معلومة • ولا شك فى أن مكانهما كان معلوما لدى من شهد وقائعهما أو من ذكر خبرهما من الأخباريين الأولين • لهذا اكتفى المؤرخون بذكر اسمهما كما ورد فى الروايات من دون أن يتثبتوا من محلهما •

وقد اختلف أصحاب المعجمات فى اسم أجنادين ، فذكرها بعضهم بكسر الدال ، وآخرون بفتح الدال على صيغة التثنية • وكان محل أجنادين معلوما فى القرن الثانى الهجرى ، فان المسعودى ذكر أن نائل بن قيس قتل فى أجنادين فى فلسطين فى عهد عبدالملك [١] •

ونذكر الآن تعريف الرواة والمؤرخين لموقع أجنادين ، وسنرى أنهم لم يتفقوا على المحل ، فقال بعضهم : انه فى جنوب دمشق ، وقال آخرون : انه فى الأردن • والذين قالوا انه فى فلسطين اختلفوا فى تعريفه • والروايات هى :

١ ـ قال ابن اسحاق : ان أجنادين بين اللد والرملة وبين جبرين [٢] •

٢ ـ وقال أبو حذيفة اسحاق بن بشر : ان أجنادين من الرملة من كورة بيت جبرين [٣] •

٣ ـ ذكر عبدالله البكرى فى كتابه معجم ما استعجم أن أجنادين على لفظ التثنية

---

(١) مروج الذهب ، طبع القاهرة سنة ١٩٣٨ ، (٤٢/٣)

(٢) الطبرى (٦١٠/٢) • (٣) معجم البلدان : مادة (أجنادين)

كأنه تثنية أجناد : موضع من بلاد الأردن بالشام ، وقيل : بل بأرض فلسطين بين الرملة وجبرون •

٤ ـ وقال النويرى : ان أجنادين من فلسطين بين بيت جبرين واليرموك •

٥ ـ جاء في تاج العروس شرح القاموس : أن أجنادين موضع مشهور بالقرب من دمشق الشام كانت فيه الوقعة العظيمة بين الروم والمسلمين •

٦ ـ جاء في كتاب المؤتلف والمختلف لأبي زكريا يحيى النووى : قال بعضهم : أجنادين محل مشهور في الشام بالقرب من دمشق •

٧ ـ جاء في تأريخ الاسلام للذهبى استنادا الى رواية ابن اسحاق أن أجنادين بين الرملة وجرش[1] •

٨ ـ ذكر ابن خلدون أن أجنادين وراء الرملة شرقا[2] •

٩ ـ جاء في الاستيعاب عن الحسين بن عثمان الزيادى أن أجنادين في فلسطين بين أبيال جبرين أو جبرون والرملة[3] •

١٠ ـ في لسان العرب لابن منظور : ويوم أجنادين معروف كان بالشام أيام عمر ، وهو موضع مشهور من نواحي دمشق ، وكانت فيه الوقعة العظيمة بين المسلمين والروم •

هذا ملخص المعلومات عن موقع أجنادين ، ويتضح منه أن المؤرخين المسلمين لم يتحملوا عناء البحث في تثبيت موقع أجنادين • واذا كان للمؤرخين القدماء ، كالبلاذرى والطبرى واليعقوبى ، عذر في ذلك ؛ لأنهم كانوا مقتنعين بأن المحل معروف لدى القراء ، ليس من حاجة الى تعريفه ، فليس لمن بعدهم هذا العذر ، ولاسيما أن الروايات التى استندوا اليها اختلفت كثيرا في تعريف المحل ، وكان ينبغى لهم أن يقارنوا بين هذه الروايات ، ويتحققوا من محل أجنادين ، ويذكروا الرأى الذى توصلوا اليه ، بينما نراهم يكررون قول من سبقهم • والأغرب أنهم ذكروا الاختلاف كقولهم : « وقيل ان أجنادين في فلسطين ، أو الأردن ، أو الشام » •

وسلك أكثر مؤرخي الغرب أيضا الطريقة نفسها ، فكوسن دى برسفال ذكر في كتابه تأريخ العرب أن أجنادين واقعة غربى القدس مسافة ١٥ ـ ٢٠ ميلا[4] •

---

(١) المجلد الأول (٣٧٥) •

(٢) المجلد الثانى (٨٥) •

(٣) الاستيعاب (٥١٩) •

(٤) انظر الى هامش (ص /٤٤٨) من المجلد الثالث :

Histoire Des Arabes: Coussin De Perceval

وذكر فى (م ٣/٤٩٩) ، بعد أن قدم معركة اليرموك على معركة أجنادين ، أن أجنادين قرية فى غربى القدس بين الرملة وبيت جبرين •

أما المستشرق الانجليزى موير Muir، فقال فى كتابه « الخلافة : قيامها وأفولها وسقوطها »[١] « ان الخصمين (العرب والروم) تقاتلا فى ميدان أجنادين المشؤوم بين الرملة وبيت جبرين يوم السبت ٢٨ جمادى الأولى سنة ١٣ الهجرية (٣١ تموز سنة ٦٣٤ الميلادية) • يجوز اعتبار هذا التأريخ صحيحا • أما موقع أجنادين فقد اختلفت فيه الآراء ، فقيل انه فى شرقى الأردن ، وقيل : انه اسم لجون (مجدو) محرفا من كلمة (لجيونوم Legionum) اللاتينية ؛ لأن أجنادين مشتقة من كلمة جند (الجيش) العربية • والفرضية الأخيرة هذه تدل على أن جنوبى فلسطين كان قد فتح قبلا ، وأن المتحاربين كانوا يتقاتلون وقتئذ فى فلسطين الوسطى التى سميت فيما بعد جند الأردن • والاعتراض الرئيس الذى يوجه ضد الفرضية الأولى ترك الروم لأعدائهم أرضا واسعة ودفاعهم عن مناطق بعيدة سكن أغلبها البدو ، بينما كان ينبغى أن يحموا أخطر ناحية من نواحى الانبراطورية (أى فلسطين) » •

وقال دى غويه فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » : « ان عدم وجود اسم أجنادين فى خارطة فلسطين ، وورود على شكل تثنية جمع جند (أجناد ـ أجنادين) ، جعل (هانبرج ـ Haneberg) يشك أن تكون أجنادين الترجمة العربية لكلمة (لجيو ـ Legio) أى (مجدو) القديمة • لقد ذكر جغرافيو العرب هذا المحل باسم (لجون ـ لجيونوم ـ Legionum) ، ولا ينكر أهمية هذا المحل فى مدخل مرج بنى عامر (سهل أزدريون) الذى كان له شأن فى تأريخ فلسطين العسكرى »[٢] •

وقال كيتانى : « ان هانبرج أخطأ فى اعتماده على مصدره الوحيد كتاب فتوح الشام المنسوب الى أبى اسماعيل الأزدى بجعل معركة أجنادين بعد معركة اليرموك ، ولم يشأ أن يلتفت الى مصادر أخرى ، ولم يرغب فى ذلك • لقد فتش عن أجنادين فى أطراف دمشق ، ولهذا ظن أن معركة أجنادين وقعت فى أثناء حصار دمشق ، وافترض أن أجنادين تثنية جمع جند أى (جيش ، معسكر) ، ولاح له أنها تذكرة لاسم (Legio) الحصن الرومانى الشهير الذى ذكره أوسيبوس ، ويسمى الآن لجون • ويحتمل أن تكون مجدو القديمة قرب سهل مرج بنى عامر فى فلسطين الشمالية ولكنه استند فيما بعد الى

(١) The Caliphate : Rire, decline and fall. الطبعة الأخيرة ، (ص ٧٠)

(٢) Mémoire sur La Conquete De Syrie (ص ٥٤)

أسباب أخرى ، واستنتج منها أن موقع أجنــادين يجب أن يكون في شرقي الأردن ، ملاحظا أنه يشبه كثيرا كلمة (مخنايم) الواردة في الكتاب المقدس التي تعني جند ـ جندين ، أي معسكرين • ولما لم يتمكن من تثبيت المحل ظن أن موقع أجنادين يجب أن يكون بين حمص وبصرى ، خلافا للمصدر الذي اعتمد عليه(١) •

وذكر كيتاني في هامش الصفحة الـ (٣٣) أن برنيتســة Pernice) يرى أن معركة أجنــادين هي المعركة التي ســماها المؤرخ الأرمني سبؤس معركة (ربوث موآب)(٢) • فأجنادين هي ربوث موآب • وبذلك تجنب جميع الدلائل الواردة في المصادر العربية ، واعتمد على سبؤس وحده برغم انتقاده للغلطات والارتباكات الكثيرة في كتابه • ويستند برنيتسه في رأيه هذا الى ما زعمه هانبرج من أن أجنادين واقعة في شرقي الأردن ، بينما لايوجد مصدر عربي وضع أجنادين في شرقي الأردن • والذي أوقع برنيتسه في هذا الخطأ الفاحش قول سبؤس : ان المعركة وقعت في بلاد العرب ، بينما كلمة Arabia الواردة في نصه لاتعني بلاد العرب ، انما تعني (العربة) التي ذكرها مؤرخو العرب حيث جرى فيها قتال بين الروم والعرب • لقد خلط سبؤس بين معركة العربة ومعركة أجنادين » •

ثم أشار كيتاني الى استنتاجات (فون سيتزن Von Seetzen) (٣) الذي ارتأى أن أجنادين شمال شرقي دمشق ، لوجود محل يشبه أجنادين لفظا يسمى جادين ، أو جيادين • ولكنه بعد أن علم أن الاسم الحقيقي هو (جب عدين) أخذ يفتش عنه شرقي جبل حوران ، أي على حدود البادية •

أما (وايل ـ Weil) ، فانه ـ بالرغم من استناده الى المصادر العربية المختلفة ـ أشار في كتابه تأريخ الخلفاء الى أن موقع أجنادين ينبغي أن يكون شمال شرقي الرملة في اتجاه الأردن •

وكذلك اكتفى مولر بما ذكره المؤرخون العرب •

ولنعد الآن الى ماجاء في المصادر العربية ونوازن بينها ، لنتوصل الى الحقيقة في تثبت موقع أجنادين • واذا أهملنا الروايات التي تجعل أجنادين في الشام والأردن ، وقد رواها البكري والنووي والزبيدي صاحب تاج العروس ، نرى أن الروايات الأخرى

(١) الجزء الأول : Annali Dell, Islam ص (٣/٢٧) •

(٢) Angelo Pernce مؤلف كتاب الانبراطور هرقليوس ، طبع فلورنسة سنة ١٩٠٥ •
Raboth Moab قرية ربه الواقعة شمال الكرك شرقي البحر الميت •

(٣) حوليات الاسلام ، الجزء نفسه (ص ٢٧) •

تتفق على أن أجنادين فى فلسطين قريبة من الرملة ، كما جاء فى رواية ابن اسحاق وابن حذيفة ورواية البكرى الثانية وابن خلدون • أما رواية النويرى ، فقد جعلت أجنادين بين بيت جبرين واليرموك ، وبذلك قاربت الروايات الأخرى • وأما رواية الزيادى في الاستيعاب فتجعلها بين أبيال جبرين وحبرون • واذ ليس هنالك موضع باسم أبيال جبرين فى فلسطين، ولا سيما فى جوار حبرون ، فلابد أن تكون كلمة أبيال قد حرفت بالنسخ من أبيات أو بيت ، فيكون الصحيح بين بيت جبرين وحبرون ، أى مدينة الخليل التى كانت تسمى قديما باسم حبرون ، وجاء ذكرها فى معجم البلدان لياقوت • ولعل كلمة جبرون الواردة فى رواية البكرى الثانية ، محرفة من اسم حبرون •

هكذا يتضح لنا أن الروايات كادت تتفق على أن أجنادين موقع بين الرملة وبيت جبرين ، أضف الى ذلك روايتين جعلتاه بين الرملة وحبرون ، فينبغى لنا اذن أن نفتش عن هذا الموقع فى مثلث رؤوسه الرملة وبيت جبرين وحبرون • على أن رواية ابن اسحاق التى ذكرها الذهبى تلقى بعض الضوء على كشف الموقع ، وقد جاء فى هذه الرواية أن أجنادين بين الرملة وجرش • ومن الطبيعى ألا تكون جرش هذه قصبة جرش الواقعة شرقى الأردن ، لأنه لايعقل أن تكون القصبة المذكورة أداة تعريف ، أولا لأنها بعيدة كثيرا عن الرملة ، ثانيا لوجود مواقع أخرى مشهورة كالقدس ونهر الأردن •• فلا بد أن تكون جرش الواردة فى الرواية موقعا آخر قريبا من الرملة • واذا نظرنا الى خوارط فلسطين القديمة ، ولاسيما الخوارط الحديثة أخص منها بالذكر (خارطة فلسطين مقياس واحد على مئة ألف المطبوعة فى دائرة مساحة حكومة فلسطين السابقة) نجد قرية تسمى « جرش » بين لطرون وبيت نتيف ، أى جنوبى شرقى الرملة على بعد خمسة وعشرين كيلومترا • ولا يستبعد أن الرواية تشير الى هذه القرية بحيث يصح أن تكون واسطة تعريف لموقع أجنادين • وجاء فى رواية النويرى أن أجنادين بين بيت جبريل واليرموك • أما كلمة جبريل فمحرفة من جبرين • وأما اليرموك ، فلا يمكن أن يكون نهر اليرموك ؟ لأنه بعيد جدا عن بيت جبرين ، ولأنه توجد مواقع شهيرة كنابلس وجنين وبيسان بل حتى طبرية ، بين نهر اليرموك وبيت جبرين • لهذا يجوز أن يكون اليرموك هذا اسما لموضع يسمى « يرموك » قريبا من الرملة • وفى هذا الصدد أيضا تساعدنا فى البحث خوارط فلسطين القديمة والحديثة ، لأنه توجد خربة فى شمال بيت نتيف تدعى يرموك أو يرموث ، وهي واقعة الى جنوب غربى جرش على مسافة خمسة كيلومترات ، والى

شمال غربي بيت جبرين على مسافة خمسة عشر كيلومترا • وسنرى فيما توصل اليه دى جويه ، والمستشرق الروسى مدنيكوف ، أن وجود هذا الموضع بالقرب من أجنادين أدى الى ارتباك المؤرخين القدماءفى خلط معركة أجنادين بمعركة اليرموك • « ويرموك » هذا ، موقع قديم ، ورد ذكره فى سفر يشوع فى العهد القديم باسم يرموث كما جاء فى الاصحاح العاشر ، الآية الرابعة : « فأرسل ادوين • صادق ملك أورشليم الى هوهام ملك حبرون وفيرام ملك يرموث » • والاصحاح الخامس عشر ، الآية (٣٥) : « وزانوح وعين جنيم وتفوح وعينام ويرموث » ، والاصحاح الواحد والعشرين ، الآية (٢٩) : « ويرموث ومسرحها » • ومن السهل قلب يرموث الى يرموك فى الاستنساخ • ويجوز أن اسم يرموث انقلب الى يرموك مع الزمن ، فكانت القرية فى زمن الفتح تسمى اليرموك •

وذكر كيتانى فى الهامش من الصفحة (٢٩) من الجزء الأول من المجلد الثالث لكتابه الآنف الذكر أن الأستاذ (نلينو) لفت نظره الى أن فى بعض الخوارط الحديثة جاء اسم خربة يرموق بالقاف بدلا من يرموك بالكاف •

واذا صح هذا الاستنتاج ، أى أن جرش الواردة فى رواية ابن اسحاق هى قرية جرش الواقعة الى جنوبى اللطرون ، وأن يرموك الواردة فى رواية النويرى هى خربة يرموث الواقعة الى شمالى بيت نتيف ، وجب أن نبحث عن موقع أجنادين فى المثلث الواقع بين الرملة وجرش وبيت جبرين •

والآن نذكر ما توصل اليه دى جويه من بحث مستفيض فى كتابه « مذكرة عن فتح سورية » • والحق انه أول من بحث بتدقيق وانعام نظر فى موقع أجنادين ، ففند الروايات ووازن بينها ، واستند الى مجرى الحوادث ، معتمدا على أصح الروايات وأوثقها سواء أكانت اسلامية أم أجنبية ، وانتهى من بحثه الى تثبيت المنطقة التى ينبغى أن يقع فيها موقع أجنادين •

قال دى جويه : « ان هناك ثلاثة افتراضات يجب أن نختار أحداها[١] •

الفرضية الأولى : تفترض أن أجنادين فى ضفة الأردن الشرقية • ومن الداعين اليها هانبرج • وقد حاول أن يجعل أجنادين فى شرقى حوران ، واستند فى محاولته الى كتاب فتوح الشام الذى طبعه Lees فى كلكتة المنسوب خطأ الى الواقدى • واذا صح زعم هانبرج وجب أن تنشب المعركة على حدود سورية الشرقية ، وفى هذه

---

(١) مذكرة عن فتح سورية ص (٥٢ و ٥٣)

الحالة تصبح خطة العرب الحربية ، وكذلك خطة الروم غير مفهومة ؟ لأن الحدود المذكورة كانت دائما معرضة للغارات البدوية • وقد ناط الروم أمر الدفاع عنها بالعرب القاطنين فيها ؟ فضلا عن أن أهلها ، وهم سكان حوران والبلقاء ، كانوا يميلون الى العرب ؟ لهذا كيف يفترض أن الروم يرسلون خيرة جنودهم للدفاع عنها ، ويتركون فلسطين مفتوحة بوجه العرب وهم يعلمون أن العرب فى حربهم هذه يستهدفون فتح البلاد وامتلاكها لا غزوها ؟ والعرب يفضلون ارسال قواتهم اليها ، بدلا من أن يحشدوها فى حوران والبلقاء ؟ لأنهم يعلمون أن فتح فلسطين يجعل تلك البلاد فى قبضة يدهم بلا قتال •

أما الفرضية الثانية ، فتفترض أن أجنادين فى عمالة الأردن ، وهى شمال فلسطين • وكان سبب ذلك أن خوارط فلسطين لا تذكر اسم أجنادين • ومن المتحمسين لهذه الفرضية هانبرج أيضا ، وافترض ، كما قلنا من قبل ، أن أجنادين تثنية أجناد ، جمع جند ، وهى ترجمة Legio اللاتينية التى تعنى الجند ، أى مجدو القديمة •

وقال دى جويه : ان رواية البلاذرى قد تؤيد هذه الفرضية ، اذ ذكر البلاذرى : « أن أول الناس الذى حاصر قيسارية عمرو بن العاص • نزل فى جمادى الأولى سنة ٦٣ هـ ، فكان يقيم عليها ما أقام ، فاذا كان للمسلمين اجتماع فى أمر عدوهم سار اليهم ، فشهد أجنادين »[(١)] •

يظهر من ذلك أن عمرو بن العاص ذهب من قيسارية الى أجنادين ، فتكون أجنادين وقتئذ من عمالة الأردن ، أى فى شمال فلسطين • واذا صحت هذه الفرضية ، فينبغى التفتيش عن غمر العربة فى شمالى فلسطين بدلا من جنوبها ؟ لأن أكثر الروايات تؤيد انتصار عمرو بن العاص فى غمر العربات قبل مجىء خالد وذهابه منها الى أجنادين ، بينما يقع غمر العربة فى غور فلسطين قريبا من ملتقى البحر الميت بوادى العربة • أضف الى ذلك أن فتح أجنادين مهد لسقوط غزة ، لا سقوط قيسارية •

وأما الفرضية الثالثة : فهى التى توافق رواية ابن اسحاق التى جعلت أجنادين بين الرملة وبيت جبرين • وهى تتفق تمام الاتفاق مع سير الحركات فى جنوبى فلسطين قبل نشوب معركة أجنادين • وقد أشرنا من قبل الى مجرى الحركات فيها وكيف أنها انتهت الى اجتماع الجيوش العربية فى أجنادين • وذكر دى جويه اجتماع الروم فى ثنية جلق كما جاء فى رواية سيف بن عمر فى تأريخ الطبرى جعل مسيره نحو

---

(١) فتوح البلدان (١٤٦) •

أجنادين . وقال سيف بن عمر : « وأرسل هرقل الى عمرو أخاه تذارق لأبيه وأمه ، فخرج نحوهم فى تسعين ألفا ، وبعث من يسوقهم ، حتى نزل صاحب الساقة فى ثنية جلق بأعلى فلسطين » . وقد حاول دى جويه أن يفتش عن موقع جلق فى شمالى فلسطين شمال الخط الذى يصل بيسان بقيسارية ، وقال : انه من المشكوك فيه أن يكون فى هذه المنطقة ، ثم ذكر الرواية التى تجعل جلق فى قرب دمشق كما جاء فى شعر حسان ابن ثابت :

لله در عصـــابـــة نادمتهـــم يوما بجلق فى الزمـــان الأول

وأراد أن يجعل جنين محرفة من كلمة جلق ، وجنين واقعة ـ كما نعلم ـ شمالى نابلس ، فى المنطقة الجبلية التى تسيطر على مرج بنى عامر . وقال : ينبغى أن تكون ثنية جلق هنا . وذكر ان هذا التحريف أمر طبيعى لدى النساخ (١) .

وقال دى جويه : ومما يؤيد أن أجنادين فى جنوبى فلسطين شعر زياد بن حنظلة :

ونحن تركنـــا أرطبـــون مطـيرا الى المسجد الأقصى ، وفيه حسور
عشيـــة أجنـــادين لمـــا تتـــابعـوا وقـــامت عليهم بالعـــراء نســـور

وأرطبون هذا : قائد الروم فى أجنادين . ولأجل أن تنسحب فلول الروم بعد المعركة الى القدس « المسجد الأقصى » ، ينبغى أن يكون ميدان القتال واقعا غربى المدينة ، أو الى جنوبى غربيها ، أى فى جنوب فلسطين لا فى شمالها . والبيت هذا يؤيد ما ذكره أوطيخيوس أن عمرو بن العاص دخل كورة غزة بعد مجيئه من المدينة . ولما رأى أن قواته لاتكفى لفتح المدينة ، كتب الى أبى بكر ، وطلب اليه ارسال النجدة ، فأمر أبو بكر خالدا بالذهاب الى الشام . ولما انضم هذا القائد الى عمرو ، حاصر مدينة غزة ، وبعد مفاوضات مخفقة جابه فى أثنائها خطرا كبيرا لم يتخلص منه الا بفراسة

---

(١) لم ينتبه دى جويه الى أن جلق قد تكون محرفة من جلين ، وهى قرية واقعة جنوبى تل الجابية على بعد عشرين كيلومترا يمر بها طريق (دمشق ـ أذرعات) ، ويهبط منها الى أعالى وادى اليرموك مجتازا عقبة أرثنية . ولابد أن جيش تذارق قد نزل بالجابية مترقبا أخبار جيوش المسلمين وقدم صاحب الساقة الى قرية جلين أو جلق ، ولما تأكد أن المسلمين يحتشدون فى الجنوب بغية الدخول فى فلسطين ، ترك الجابية واجتاز نهر الأردن . ودخل شمالى فلسطين فانضمت اليـه قوات من قيسارية ، ثم تقدم نحو أجنادين ويظهر من رواية سيف بن عمر أن صاحب ساقة تذارق نزل بجلين ، أو جلق ، لمراقبة قوات المسلمين فى البلقاء ، وحماية القسم الأكبر من جيش الروم حين اعتزامه المسير نحو فلسطين وبنظرنا أن هـذا الاستنتاج يوافق مجرى الحركات العسكرية . ولما كان الاسم ورد فى بيت حسان بن ثابت « جلق » لا « جلين » فلا يستبعد أن يكون بمرور الايام تغير الى جلين .

مولاه وردان ، وقعت معركة في أجنادين منى الروم فيها بهزيمة نكراء ، والتجأت فلولهم الى القدس وقيسارية .

ويشير دي جويه بعد ذلك الى رواية سعيد بن عبدالعزيز التنوخي نقلا عن البلاذري[١] جاء فيها : أن المسلمين اجتمعوا عند قدوم خالد على بصرى ، ففتحوها صلحا ، وانبثوا في أرض حوران جميعا ، ثم مضوا الى فلسطين والأردن . ثم قال دي جويه : « اذا كان هدف المسلمين غزة وفلسطين ، فيتوقع أن تنشب المعركة أيضا في فلسطين . ويؤيد ذلك شعر زياد بن حنظلة من جهة ، وما ذكره أوطيخيوس من جهة أخرى » . ثم أشار الى الارتباك الذي أوقع مؤرخي المسلمين في الخلط بين معركة اليرموك ومعركة أجنادين ، وتقديمهم الواحدة على الأخرى ، الى أن قال : « ان سيفا (سيف بن عمر) جعل معركة (اليرموك ــ الياقوصة) المعركة العظيمة الأولى التي وقعت في سورية ، بدلا من معركة أجنادين ، استنادا الى روايات قديمة مازلنا نرى آثارها لدى البلاذري والمدائني ، بالرغم من أنهما قدما معركة أجنادين على معركة اليرموك سنتين ؛ لأنهما يتحدثان عن مناوشة جرت في الياقوصة بعد معركة أجنادين بمدة قصيرة » .

نذكر رواية البلاذري التي ذكرها دي جويه آنفا : قال البلاذري : « قالوا ثم جمعت الروم جمعا بالياقوصة ، والياقوصة واد فمه الفوارة ، فلقيهم المسلمون هناك »[٢] .

ثم يقول دي جويه : « وقعت معركة الياقوصة في المكان الذي ينصب فيه وادي الياقوصة في وادي اليرموك . وكان من أمر ذلك أن المعركة سميت تارة باسم النهر ، وتارة أخرى باسم الوادي . لقد وجد هذان الاخباريان في بعض الروايات التي استندا اليها خبر معركة الياقوصة . ولأجل أن يحافظا على تاريخ وقائعهما من جهة ، ويظلا متمسكين الى حد ما بتلك الروايات من جهة أخرى ، سوغا لأنفسهما ــ بتمحيص غريب بعض الغرابة ــ أن يجعلا من معركة واحدة معركتين ، وأن يسميا كلا منهما بأحد الاسمين الواردين في الروايات المذكورة . وفضلا عن أنه يستبعد جدا أن ينشب قتال مرتين في محل واحد ، فانه يستحيل جغرافيا وقوع المعركة في الياقوصة بين معركة أجنادين ومعركة فحل . أضف الى ذلك انه ليس هنالك سبب ما يؤيد افتراض وجود نهرين أو واديين بالاسم نفسه .

ويظهر من ذلك أن الرواية التي تشير الى أن معركة اليرموك وقعت هنا ، هي

---

(١) فتوح البلدان (١٣٢) (٢) فتوح البلدان ; ١٢١)

رواية قديمة جدا ، فلا يصح أن تعد محض تلفيق ابتدعه سيف • ولكي ترى كيف نشأت تلك الرواية ، أذكر ما تراءى لي في هذا الصدد فأقول : جعل ابن اسحاق موقع أجنادين بين الرملة وبيت جبرين • أما البكري ، فقد جعله بين الرملة وحبرون (جبرون) • ويوجد موقع يرموث القديم قرب هذين الموقعين ، وهو موقع كان يسمى في عهد أوسيوس وجيروم (يرموثا) حيث عده (روبنصن) الموقع الذي نشبت فيه معركة اليرموك [١] •

ثم قال دي جويه : « اذا قبلنا أن أجنادين واقع قرب يرموث ، أمطنا اللثام فورا عن الغموض الذي أحاط بالأمر • هكذا يتضح لنا كيف أن معركة أجنادين اختلطت ، أو كادت تختلط بمعركة اليرموك • فيتجلى لنا لماذا ذكر أحد المؤرخين أن البطل الفلاني استشهد في معركة اليرموك ، بينما قال مؤرخ آخر ان ذلك البطل استشهد في أجنادين » •

وبعد أن أشار دي جويه الى ما أورده البلاذري من أسماء بعض الصحابة المعروفين الذين قتلوا في أجنادين ، أورد قول البلاذري : « ويقال انهم قتلوا في اليرموك » • وبنظر دي جويه ان استبدال يرموك بيرموث ، كان من أهم الأسباب التي أدت الى الارتباك الغريب في تأريخ وقائع فتوح الشام [٢] •

ويستدل مما سبق على أن الساحة التي جرت فيها معركة أجنادين ينبغي أن تكون في المثلث الذي يؤلف رؤوسه كل من موقع الرملة وجرش وبيت جبرين ، وألا تكون بعيدة عن خربة يرموك • ومما يلفت النظر أن الخوارط القديمة والحديثة التي ذكرت قرية جرش وخربة يرموث — ويرجع عهد هذا المكان الى قبل عهد يشوع — لم تشر الى أجنادين •

ترى أأطلق العرب كلمة أجنادين على يوم من أيامهم جرى فيه القتال بينهم وبين الروم ، جريا على عادتهم في الجاهلية في تسمية الأيام أم هي كلمة محرفة من عمل النسخ ؟ • وقد نراءى لدى جويه هذا الظن في كتابه ، فقال : « كنت أرى قبلا أنه من الخطأ أن أجنادين اسم جنس صيغ من تثنية جمع جند ، مضاف الى وقعة أو يوم انطباقا على قاعدة جمع الجموع في اللغة العبرية كخماتيم (الجدار المضاعف) وكما هو شائع في اللغة العربية • فيوم أجنادين قد يعني وقتئذ المعركة التي جرت بالجيشين المجتمعين ، جيش الشام وجيش العراق ، الا أن هذا الظن خطأ ؛ لأن أجنادين في

(١) مذكرة عن فتح سورية (٥٨ و ٥٩) •
(٢) مذكرة عن فتح سورية (٦٠) •

هذه الحالة لايمكن أن تستغني عن حرف التعريف (يريد أن يقول يوم الأجنادين) ، أضف الى ذلك أن كلمة أجنادين أو أجنادين لم ترد بشكل اسم خاص في شعر زياد ابن حنظلة وفي شعر كثير ـ كما ذكره ياقوت والبكري[١] فحسب . ولكن ذكرها المسعودي في كتابه مروج الذهب حينما يقول : ان ناتل بن قيس قتل في وقعة أجنادين في فلسطين في عهد عبدالملك »[٢] .

يعتقد كيتاني أن المستشرق الروسي ميدنيكوف هو أول من كشف السبب الذي وضع اسم أجنادين ، وخلاصة ما ذكره كيتاني من كشف ميدنيكوف هي : أن ميدنيكوف استند في بحثه الى ما توصل اليه دي جويه من أن المعركة ينبغي أن تجري قرب خربة يرموث أو يرموك ، واستشهد بخارطة دليل فلسطين لبيديكر ، وقال ان الخربة تقع في جوار ملتقى الطرق الممتدة بين غزة وبيت جبرين وبين بيت جبرين والقدس وبين بيت جبرين واللطرون والرملة . ويمتد وادي السمط في جنوبي الخربة ، وهو يؤلف خط دفاع بين المعسكر العربي والمعسكر الرومي ؛ لأن الروم بواسطة هذا الخط الدفاعي يحتفظون بخطوط مواصلاتهم سواء بالقدس أو باللد أو بقيسارية التي كانت من أهم المراكز العسكرية في فلسطين .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم وعسكر الروم في شمال الوادي قرب خربة يرموك . وفي جنوب الوادي موقعان وهما الجنابة الغربية والجنابة الشرقية ، والطريق يمر من بينهما ، وارتفاع الأولى (٩٥٠) قدما ، وارتفاع الثانية (١٢٤٥) قدما . أما ارتفاع خربة يرموك فهو (١٤٦٥) قدما . وقد عسكر الروم في هذا الموقع المسيطر المشرف على وادي السمط ، فجعلوا خط الاتصال بالقدس وبقيسارية على جانبيهم .

ويتطرق ميدنيكوف الى سبب تسمية العرب ميدان القتال بأجنادين ، فيقول : انهم سموا المعركة بمعركة الجنابتين ، كما استعملوا كلمة الأبانين في تسمية الجبلين الواقعين في نجد ، وكما سموا الأشمونين في مصر للدلالة على تثنية أشمون . ويضيف كيتاني قائلا : « لهذا توصل ميدنيكوف الى افتراض موفق عبقري بافتراضه أن اسم أجنادين يمكن أن يكون من خطأ النساخ الذين وجدوا كلمة الجنابتين بغير علامات . ولما كانوا يجهلون محل هذين الموقعين ، قلبوا الكلمة الى أجنادين . وهذا ارتباك تسهل معرفته

(١) شعر كثير المذكور في كتاب معجم ما استعجم للبكري هو :

فالا تكن بالشام داري مقيمة فان بأجنادين كني ومسكني

(٢) مذكرة عن فتح سورية : (ص ٥٩ و ٦)

اذا ما كتبت الكلمات بحروف من غير علامات »[(١)] .

ثم قال كيتانى ما يلى : « اذا صح أن أجنادين تحريف الجنابتين ، لزمنا ـ خلافا لدى جويه ـ أن نفضل كتابة أجنادين (بفتح الدال) على أجنادين (بكسر الدال)»[(٢)] .

وأخيرا يلخص كيتانى بحثه المسهب عن موقع أجنادين ، فيقول : « انه قد جمع كل امواد المتعلقة بالقضية ، وقد يتجلى للدارس الأمور الآتية التى لا يسعه أن يبدى فى شأنها انتقادا ما :

(١) أن اسم أجنادين غير قياسى ، ولا بد أن يكون محرفا ، كما حرف النساخ كلمة يقوصة الى واقوصة .

(٢) أن معلومات المصادر كلها ، باتفاق أكثرية المطلعين الموثوق بهم ، تجعل معركة أجنادين فى جوار خربة يرموك وبيت جبرين .

(٣) يوجد فى طرف ميدان المعركة موقعان يسميان بالجنابة ، تثنى بالجنابتين ، واذا ما كتبت هذه التثنية بغير علامات أشبهت كثيرا كلمة أجنادين .

ثم يقول : لكل امرىء أن يختار النتائج التى يفضلها . واذا كان افتراض ميدنيكوف خاطئا ، فان ذلك لن يضعف قيمة النتيجتين الأخريين » .

وصف طبغرافى للأرض التى نظن أن المعركة وقعت فيها

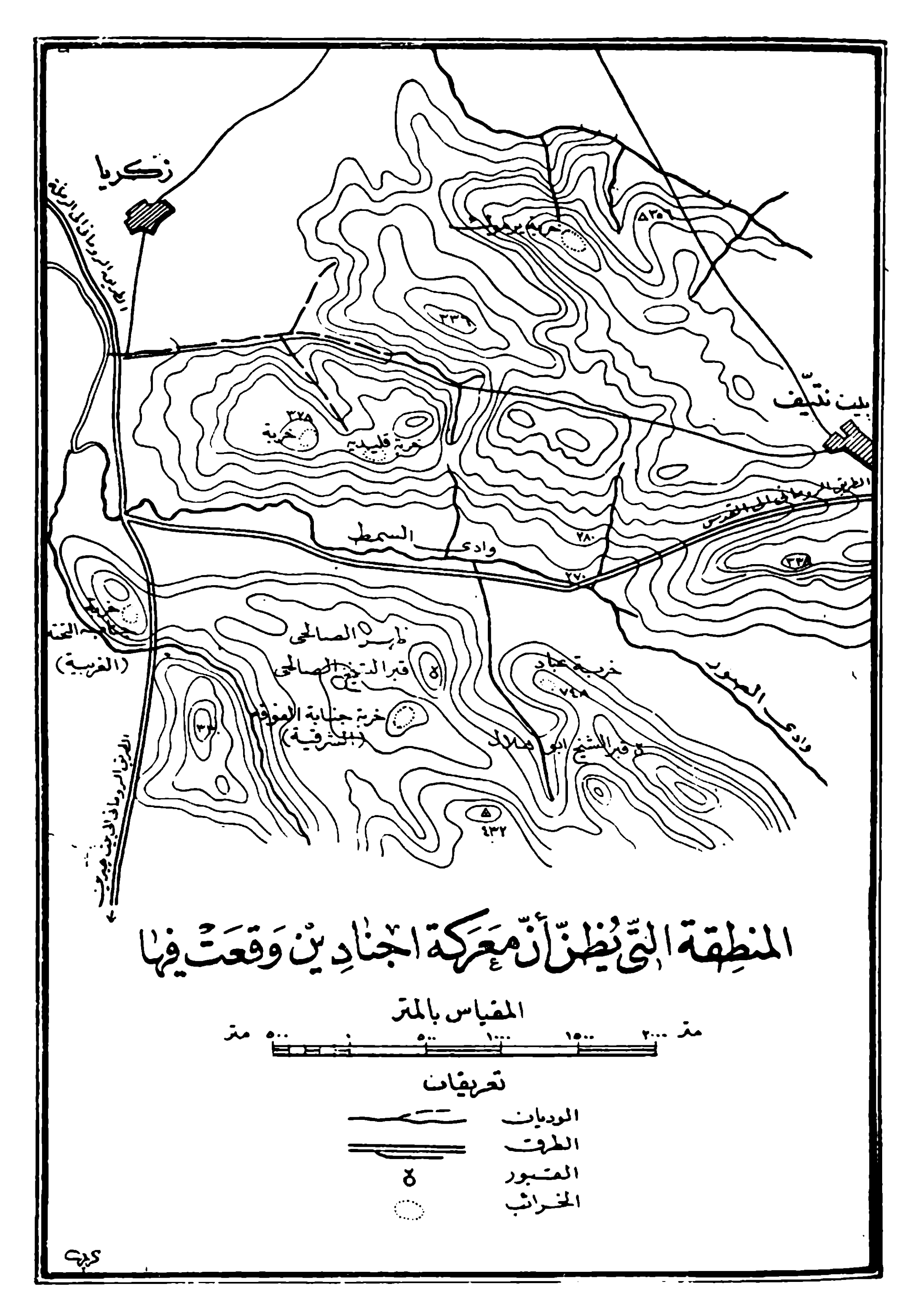
(راجع الخارطة ٣)

ولما أنهى دى جويه بحثه التأريخى والجغرافى الثمين عن معركة أجنادين ، قال : ان درس حالة الأرض فى جوار خربة يرموك يميط اللثام عن الموضع الذى جرت المعركة فيه ، ويكشف عن كلمة أجنادين أهى استنساخ عربى للاسم الرومى القديم (اجنابتون) أم هى ترجمة[(٢)] .

وذكر كيتانى أن مشاهدة الأرض وتدقيقها توصلان الباحث الى التأكد منها هل كانت صالحة لنشوب معركة فيها ؟ وقال : انه فكر مرات أن يذهب لمشاهدة الأرض ، ثم حاول ذلك ولكنه لم يوفق ، لهذا رجا من المستشرق جوزيف هورويج الذى زار الشرق سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٦ م ، أن يدرس حالة الأرض ، فشاهد هذا المستشرق الأرض سنة ١٩٠٦ م ، ودرسها ، وأخذ تصويرها ، ثم كتب الى كيتانى يقول : ان نظرة يلقيها

(١) هامش (ص ٣٣) .

(٢) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (ص ٣٣) .


زكريا
بيت نتّيف
خربة
خربة قليدية
٣٢٨
٣٣٦
٢٨٠
٢٧٠
وادى السمط
ظهر الصالحى
قبر الشيخ الصالحى
خربة عباد
خربة جنابة الفوقا (الشرقية)
قبر الشيخ ابو هلال
(الغربية)
وادى الصور
٤٣٢
المنطقة التي يُظنّ أنّ معركة اجنادِين وقعت فيها
المقياس بالمتر
تعريفات
الوديان
الطرق
القبور
الخرائب

خارطة ٣ (ص ٩٩)

المرء على الأرض تجعله يقتنع كل الاقتناع أنها صالحة جدا من الوجهة الطبغرافية والعسكرية لنشوب معركة فيها ، وبذلك أيد ما وصل اليه دي جويه وما استنتجه ميدنيكوف • فأبدى كيتاني بعض الملحوظات العسكرية ، وتساءل : هل حالة الأرض مساعدة لنشوب معركة كبيرة فيها ؟ ويجيب أن ما وصفه هورويج وما جاء في الصور وما رسم في الخارطة يؤيد ذلك • فحالة الأرض تصلح لحركة قوات كبيرة فيها ، وهي متموجة غير وعرة ، تتحرك الخيالة فيها بسهولة • ويمر وادي السمط من المثلث الذي تؤلف رؤوسه خربة يرموك والجنابة الشرقية والجنابة الغربية ، ويجري موازيا لها • وهو عريض تسيطر عليه خربة يرموك ، رأس المثلث ، في محل مركزي في وسط الطرق • والأرض بين الخربة والوادي متموجة ومسورة بأدغال ، والآثار الباقية تدل أنها كانت مسكونة فيما مضى • وخربة يرموك واقعة فوق رابية على جانب المرتفع • وتمتد هضبة متموجة الى الجنوب نحو الوادي ، وتتخللها تلول صغيرة • ويمكن الجزم أن الروم احتلوا هذه الهضبة المسيطرة على وادي السمط الممتد من الشرق الى الغرب • والموضع قوي ، يستر خطي المواصلات في جانبيه •

وفي الضفة الجنوبية للوادي يمتد خط مؤلف من رواب تقوم أنقاض الجنابتين في جانبيه • والجنابة الغربية أقل ارتفاعا من الجنابة الشرقية ، وهي واقعة على هضبة واسعة ، الحد الغربي لوادي السمط • واذ أن الروم أتوا من الشمال ، والعرب تقدموا من الجنوب ، فيقتضي أن يكون خط الروابي المرتفع بين الجنابتين الموضع الذي احتله العرب قبيل المعركة ؛ لأنه يسهل الدفاع عنه ضد الروم من جهة ، ويصلح من جهة أخرى للهجوم على موضع الروم •

ثم يقول كيتاني : اذا كانت هذه الاستنتاجات صحيحة ، يستنبط منها أن انتصار العرب طور الحركات الحربية من الجنابتين نحو الشمال الى وسط الوادي ، ثم امتدت حتى موقع يرموك [1] •

النتيجة

أثبتنا فيما سبق كل ما قيل عن أجنادين ، ووازنا بين الروايات ، وانتهينا من بحثنا الى أن معركة أجنادين وقعت بين الرملة وبيت جبرين قرب خربة يرموك ، ورأينا أن دي جويه وكيتاني بحثا الموضوع بعناية ودراية ، وأن المستشرق الروسي ميدنيكوف أيد رأي دي جويه ، وزعم أنه كشف سبب تسمية العرب للمعركة بأجنادين • وقد أيده

(١) حوليات الاسلام : الجزء الأول من المجلد الثالث (٣٤ ، ٣٨)

كيتاني في زعمه هذا الى حد ما .

أما أن المعركة وقعت في فلسطين ، فلا شك في ذلك ، ونقصد بفلسطين هذه القسم الجنوبي من فلسطين ، أي القسم الواقع جنوبي خط يوصل القدس بقيسارية ؛ لأن العرب سموا البلاد الواقعة شمالي هذا الخط بالأردن . فطبرية وبيسان ونابلس وقيسارية وعكا من الأردن ، وغزة وعسقلان وبيت جبرين وحبرون واللد والرملة من فلسطين . والذي يفهم من الروايات العربية المتضاربة والأخبار الرومية والسريانية ، ولاسيما ما كتبه أوطيخيوس ، أن عمرو بن العاص دخل فلسطين من الجنوب ، وتقدم في كورة غزة ، ونشب قتال بينه وبين بطريق غزة . ولما تأكد أن الروم أقوياء تسحب الى الغمر في غور العربة ، وطلب النجدة من أبي بكر . أما الروم ، فلما بلغهم أن العرب توغلوا في جنوبي فلسطين ، وأنهم يستهدفون الفتح لا الغارة ، اهتموا للأمر . ولابد أن بطريرك القدس استنجد بهرقل ، فبعث هذا أخاه تئودور على رأس قوة على أن تنضم اليه بعض الحاميات المرابطة في أنحاء فلسطين .. فسار هذا بجيشه من حمص حيث كان هرقل ، وأرسل من يسوق قوته حتى نزل صاحب الساقة بثنية جلق . وهذا الموقع هو - كما ذكرنا آنفا - في جنوبي الجابية على طريق (دمشق - اذرعات) . ولعل صاحب الساقة كلف مراقبة قوات يزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة في شرقي الأردن . ثم أتى خالد بن الوليد بجنده من العراق ، واجتمع بتلك القوات ، وبعد فتحه بصرى تقدم نحو الجنوب على رأس القوات المذكورة ، والتقى بجند عمرو بن العاص في الغمر .

ولا يستبعد أن جيش الروم مكث مدة من الزمن قرب الجابية يراقب حركة جيش خالد . ولما علم أن خالدا سار نحو الجنوب ، ترك الجيش الرومي الجابية هدفه فلسطين ، فاجتاز الأردن ، وتقدم الى وسط فلسطين . وكان هدفه الأول حماية القدس وبيت لحم ، فوصل الى الخط الذي يوصل القدس بالرملة ، وارتأى قائده الوقوف في أطراف خربة يرموك شمال وادي السمط ، وبذلك يكون قد اختار موضعا مركزيا لسد الطرق بوجه المسلمين اذا أرادوا التقدم نحو القدس أو نحو قيسارية قاعدة البلاد . وفي هذا الموضع تلتقي الطرق الرومانية القديمة . ولما رأى قائد الجيش الرومي صلاح هذا الموضع للدفاع والهجوم ، عسكر في الهضبة الممتدة جنوبا نحو وادي السمط جعلا طريق القدس على جانبه الأيسر ، وطريق (الرملة - قيسارية) على يمينه - وبذلك يكون قد اختار « موضعا جنبيا » كما يعبر عنه في المصطلحات العسكرية ؛ لأنه يسد جميع الطرق القادمة من الجنوب ، ويضطر العدو الى مهاجمته ،

ولا يمكن للقوات العربية أن تترك الجيش الرومي على جانبها ، وتتقدم نحو القدس أو قيسارية •

ويلوح لنا أن الجيش الرومي سبق القوات العربية في احتلاله هذا الموضع ؛ لأن الطريق بين الجابية وخربة يرموك أقصر كثيرا من الطريق التي قطعها خالد ، مجتازا شرق الأردن من الشمال الى الجنوب ، حتى وصل الى الغور في جنوبي البحر الميت ، واجتمع بجند عمرو بن العاص في وادي العربة • ثم سارت القوات جميعها نحو الشمال الشرقي ، فتجنبت المدن الحصينة كحبرون وغزة وغيرها ؛ لأن الروايات لم تسهب في فتح مدن فلسطين قبل معركة أجنادين • أما ما ورد من أخبار فتوح بعض المدن قبل أجنادين ، فلا بد أنها تخص فتوحات وقعت بعد الانتصار • وأخيرا تقدمت القوات العربية شمالا ، ولما وصلت جنوب وادي الصمت ، عسكرت في الهضبة الجنوبية ، وجعلت الوادي ستارا لها • ولعل القادة العرب قد استخبروا من أهل البلاد عن حركة الجيش الرومي ، وعلموا أنه يعسكر في الشمال ، وتؤيد ذلك رواية الطبري ، اذ قال : « فخرج (عمرو بن العاص) حتى نزل على الروم بأجنادين ، والروم في حصونهم وخنادقهم »[1] •

ان من ينظر الى خارطة فلسطين (مقياس ١/١٠٠٠٠٠) ، وكذلك الخارطة المفصلة (مقياس ١/٢٠٠٠٠) ، ويدرس حالة الأرض وأوصافها الطبغرافية على طرفي وادي الصمت ، يتبين له صلاح تلك الأرض للقتال في الدفاع وفي الهجوم على حد سواء •

الى هنا يستمر البحث منسجما أقرب ما يكون الى الواقع ، ومنطبقا على المقتضيات العسكرية • انما الذي لايدعو الى الاطمئنان زعم ميدنيكوف أن أجنادين محرفة من الجنابتين ، وذلك للأسباب الآتية :

(١) اذا صح هذا التعريف ، يكون قد وقع في زمن متقدم جدا ؛ لأن كلمة أجنادين وردت في جميع المصادر العربية القديمة بلا استثناء ، ولاسيما رواية اليعقوبي الباحثة عن مقتل نائل في زمن عبدالملك ، فانها تشير الى أجنادين نفسها •

(٢) ينبغي أن تكون قريتا الجنابة الشرقية والجنابة الغربية موجودتين في زمن الفتوح ، والواقع أن كلمة جنابة عربية ولا يوجد في المعجمات الجغرافية القديمة موقع جنابة في فلسطين ما عدا الجنابة الواقعة في بلاد فارس كما ذكرها ياقوت في معجمه قائلا : بلدة صغيرة من سواحل فارس •

(٣) لا نظن أن القرى العربية قد انتشرت كثيرا في فلسطين في زمن الفتوح •

(١) تاريخ الطبري (٣/١٠١)

ويلوح لنا أن القريتين المذكورتين أقيمتا بعد الفتح حينما استوطن العرب فلسطين •

لهذا لا نتفق مع ميدنيكوف وكيتاني على أن كلمة أجنادين محرفة من الجنابتين • ويتراءى لنا أن الاستدلال الأقرب الى الواقع ما ارتآه دى جويه من أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، بالرغم من أنه عدل عن رأيه هذا مستندا الى أنه كان ينبغي أن يسبق الاسم حرف تعريف ، كقولك يوم الأجنادين ، أو وقعة الأجنادين ؛ ولأن اليعقوبي أشار الى مقتل نائل في أجنادين في فلسطين في عهد عبدالملك ، مما يدل على أن هذا الموقع كان موجودا في فلسطين في ذلك العهد •

وبالرغم من صدوف دى جويه عن هذا الرأى يلوح لنا أن أجنادين اسم جنس مضاف الى يوم أو وقعة ، وسببه أن المعركة وقعت لأول مرة بين العرب والروم ، واشترك فيها من جانب العرب أربعة أجناد : أى جند خالد ، وجند عمرو بن العاص ، وجند يزيد بن أبى سفيان ، وجند شرحبيل بن حسنة • واذا كانت العرب اشتركت بأجنادها ، فقد ظهر للعرب أن الروم أيضا اشتركت بأجنادها : أى جند قيسارية ، وجند غزة ، والجند الذى جهزه هرقل بقيادة أخيه تئودور • ولا شك فى أن المعركة كانت أول اصطدام بين العرب والروم بقوات كبيرة لم يسبق لها مثيل • والروايات العربية مجمعة على أن الجيش العربى كانت عدته أربعة وعشرين ألفا ، وقيل : سبعة وعشرين ألفا • واشتركت الروم بخيلها ورجلها وبطارقتها وقسيسيها •

وقد سبق أن سمى العرب بعض أيام حروبهم بأسماء لا تدل على محل ، انما تدل على سبب القتال أو وصف القتال ، أو ما وقع فيه من حالات ، كيوم داحس والغبراء ويوم الفجار ويوم الزويرين ويوم الشقيقة ويوم الصفقة وحرب حاطب • وكذلك فعلوا فى عهد الفتوح ، ففى القادسية مثلا سموا معاركها بيوم أرمات ويوم أغوات ويوم عماس ويوم الهرير ، وسموا المعركة التى وقعت بأطراف البصرة بين على والزبير وطلحة بوقعة الجمل • وهناك معركة بحرية سميت بذات الصوارى • وأطلقوا على اسم المعركة التى وقعت بين عبدالرحمان الغافقى والافرنج معركة بلاط الشهداء •

والسبب الذى ساق دى جويه الى العدول عن رأيه لايؤيه له ؛ لأنه متى أصبحت كلمة أجنادين علما لمعركة فيجوز أن تذكر بلا حرف تعريف ، ويجوز أن النساخ أهملوا كتابة حرف التعريف • وكذلك وجود موضع يدعى بأجنادين فى فلسطين فى زمن عبدالملك ، لا يكون نافيا للاستدلال على كلمة أجنادين • وما دامت المعركة سميت بمعركة الأجنادين ، فلا مانع من أن يحتفظ ميدان المعركة بالاسم نفسه •

طه الهاشمي

الفهرس

المقالات والمحاضرات

الكتب

انباء وآراء